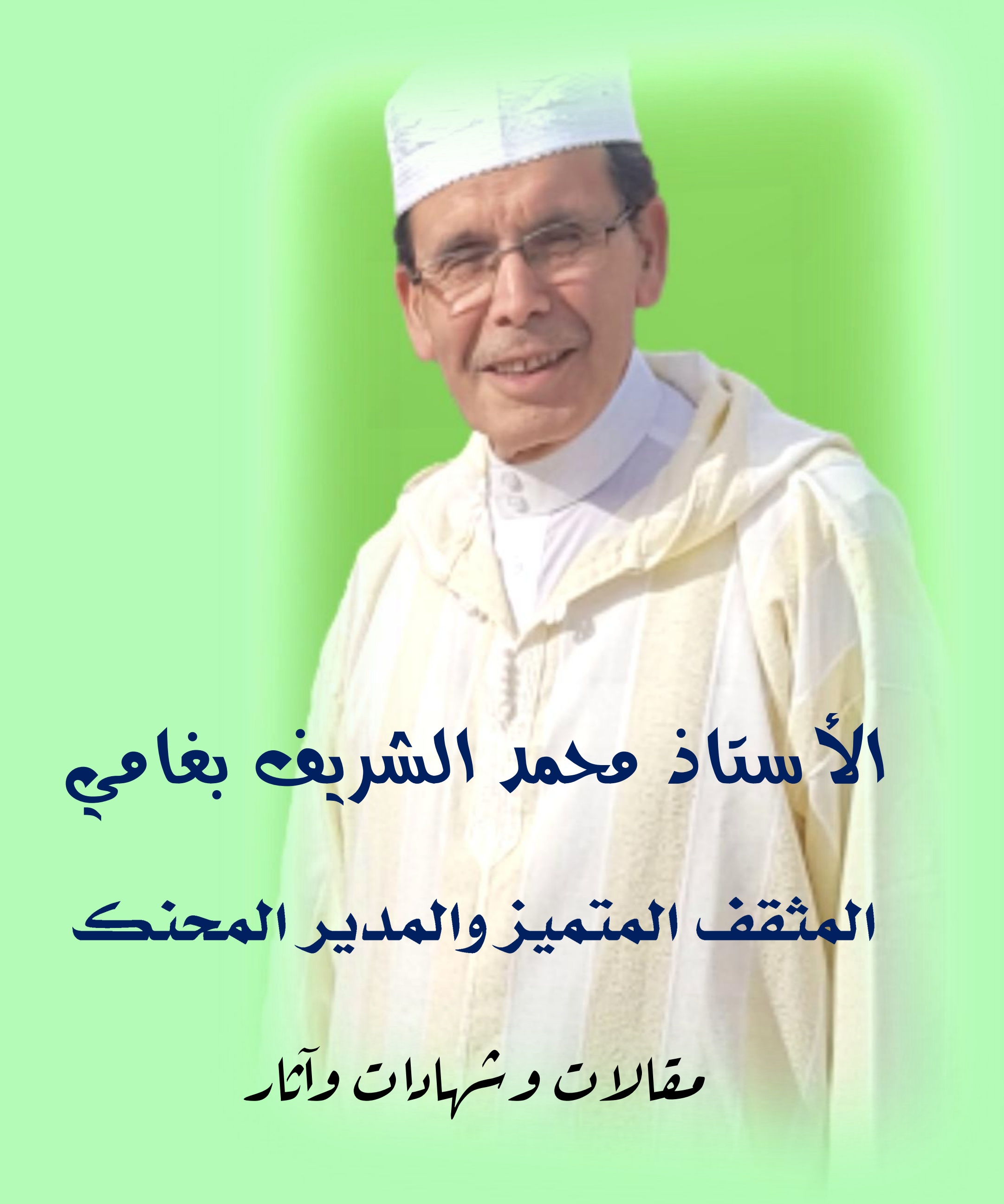


الأستاذ محمد الشريف بغامي

المثقف المتميز والمدير المحنك

مقالات وشهادات وآثار

إشراف وتحرير وتقديم:

أ.د. مسعود بن موسى فلوسي

الأستاذ محمد الشريف بغامي

المثقف المتميز والمدير المحنك

مقالات وشهادات وآثار

الطبعة الإلكترونية الأولى
شوال 1441 هـ / جوان 2020 م

الأستاذ محمد الشريف بغامي
المثقف المتميز والمدير المحنك

مقالات وشهادات وآثار

جمع وتحرير وتنسيق:
أ.د. مسعود بن موسى فلوسي



وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا.
قال رب العزة سبحانه وتعالى:
﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

الإهداء

إلى روح الرجل العصامي المتميز
الأستاذ محمد الشريف بغامي..
تحية تقدير وعرفان..

تقديم

بقلم: أ.د. مسعود بن موسى فلوسي

الناس في هذه الحياة صنفان: صنف يعيش لنفسه ولا يرى الدنيا إلا مجالا لتحقيق رغباته وقضاء مآربه وتلبية شهواته، لا هدف له في الحياة إلا هذا ولا يرى غيره من الناس وما يربطه بهم من علاقات وتعاملات إلا وسائل لتحقيق هذا الهدف، فهو خسيس النفس دنيئ المآرب، لا خير فيه، بل هو وأمثاله في كل مجتمع سبب كل شر وعِلة كل بلاء يحيق بالبلاد والعباد..

وصنف يرى نفسه جزءا من الإنسانية ككل ومن أمته بصفة خاصة ومن مجتمعه بصفة أخص، فهو يتحرك في الحياة وبين عينيه أنه فرد من جماعة يسره ما يسر بقية أفرادها ويسوؤه ما يسوؤهم، ولذلك تراه لا يسعى إلا لتحقيق مصلحة الجماعة ودفع ما يسيئ إليها ويضر بها، وحتى إن عمل لمصلحة نفسه في شأن من شؤونه الخاصة فهو حريص ألا يكون ذلك على حساب الجماعة وألا يكون سببا إلى الإضرار بها أو ببعض عناصرها. والأفراد الذين من هذا النوع هم من تنهض بهم الأمم وتصلح بهم الأحوال وبجهودهم يستقيم نهج الإصلاح ويتحقق الوعي والتغيير وتتقدم الشعوب وتعلو مكانتها بين الأمم الراقية، وحتى في فترات الضعف والانتكاس يكونون هم صمام الأمان الذي يحفظ المجتمع من السقوط ويحميه من الانهيار بما يبذلونه من جهود إصلاحية وما يحاربونه من مظاهر الفساد والإفساد.

ومن هذا الصنف الثاني أخونا العزيز وصديقنا الكريم الأستاذ الشيخ محمد الشريف بغامي رحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة مستقره ومثواه، الذي فارقنا راحلا عن هذه الدار الفانية في حدود الساعة الحادية عشرة ليلا من يوم الجمعة 09 ذو القعدة 1440هـ، الموافق 12 جويلية 2019م.

ومنذ وفاة الأستاذ رحمه الله، والعزم معقود من رفاقه وأصدقائه وزملائه على التلاقي لإحياء ذكراه وإقامة يوم دراسي لتعداد مناقبه وذكر مآثره والإشادة بأعماله وخصاله، ونظرا لظروف شتى لم يتحقق ذلك إلا بعد حوالي ثمانية أشهر من رحيله، والفضل في ذلك لله عز وجل أولا وأخيرا، ثم لجهود أخينا الأستاذ ميلود قرفة الرجل الفاضل المحترم الذي خَلَفَ الشيخ بغامي في تسيير المعهد الوطني للتكوين المتخصص للأسلاك الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف في زانة البيضاء، هذا الرجل ظل يحضر للقاء ويتصل بأصدقاء الشيخ وأحبابه وزملائه يستحِثُّهم ويحرضهم على المشاركة، وقد تحقق له ما أراد، وتم اللقاء صبيحة يوم الأربعاء 16 رجب 1441هـ، الموافق 11

مارس 2020م، حيث اجتمع الناس من كل حدب وصوب وامتلأت بهم قاعة الأنشطة في المعهد، وخلال اللقاء توالى الأساتذة يتحدثون عما عرفوه عن الفقيد من خصال وما عايشوه معه من مواقف وما لاحظوه عليه من أحوال.

وقد قُدِّمَت خلال اللقاء مجموعة من المداخلات المكتوبة والكلمات المرتجلة والشهادات المقتضبة، التي كشفت عن المكانة السامية والمنزلة الرفيعة التي كان يتبوأها الفقيد في حياة المجتمع المحلي وبين الأوسط العلمية والطبقة المثقفة.

وحتى لا يضيع ما قيل في اللقاء ويذهب سُدًى، انبريت لجمع المكتوب من المقالات وتفريغ المسموع من المداخلات والشهادات، وتنسيقها وتحريرها في هذا الكتاب، الذي أردت من خلاله تخليد ذكرى فقيدنا العزيز الأستاذ محمد الشريف بغامي رحمه الله، وتعريف الأجيال الصاعدة به وبأعماله الفذة التي لا ينهض بأمثالها إلا القليل من الرجال.

وقد ضَمَّنْتُ الكتاب كلمتي التأبين اللتين ألقيتا من قبل كل من الدكتور شهر الدين قالة والدكتور أحمد زردومي في مسجد صهيب الرومي قبل دفن جثمان الفقيد بمقبرة بوزوران في باتنة، كما ألحقت بالكتاب كلمات كتبت مباشرة بعد الوفاة، هي عبارة عن كلمات توديع ورثاء وتعزية.

وقبل الإخراج النهائي للكتاب أعلنت عنه في صفحتي على موقع فايس بوك، فبادر عدد ممن عرفوا الشيخ وعايشوه فأرسلوا لي شهاداتهم أو دونوها في شكل تعليقات على المنشور، فرأيت إضافتها إلى الكتاب، إثراء وإفادة.

كما ذيلت الكتاب ببعض الآثار التي وقفت عليها للشيخ محمد الشريف بغامي رحمه الله.

هذا، وإني لأنتهز هذه الفرصة لأحيي أخانا الأستاذ ميلود قرفة الذي حَضَّرَ اللقاء المذكور منذ مدة وحرص على أن يَحْضُرَهُ أحباب المرحوم وأصدقاؤه، وزاد على ذلك بأن وَفَّرَ لي التسجيلات الكاملة لكل ما ألقي في اللقاء من مداخلات وشهادات، فله مني ومن كل أحباب الشيخ وأصدقائه خالص الشكر وجزيل التقدير على وفائه وإخلاصه، في زمن نضُب فيه معين الوفاء والإخلاص.

وإني لأرجو أن يوفقني الله عز وجل ـ بالتعاون مع أبناء الشيخ وأقاربه ـ إلى إخراج تراثه الفكري المكتوب والمسموع في كتاب شامل في المستقبل القريب إن شاء الله. والله ولي التوفيق والسداد.

باتنة، في: الإثنين 01 جوان 2020م

كلمتا التأبين

كلمة الدكتور شهر الدين قالة
في تأبين الأستاذ محمد الشريف بغامي رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كتب على عباده أجمعين الموت والفناء، فقال سبحانه: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) [من سورة الرحمن]. ونشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، قال له ربه، وهو أشرف الخلق عنده: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31) [من سورة الزمر]، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، إنا لله وإنا إليه راجعون.

تفقد هذه الولاية، بل الوطن والأمة، رجلا من رجالها، الأستاذ محمد الشريف بغامي الذي نفقده ونحن قائلين: إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراقك يا محمد الشريف لمحزونون.

نفقد رجلا إذا دُعينا أن نختصر قيمته في حياة الناس في هذا البلد لقلنا: إنه كان المعلم، وكفى به وصفا، محمد الشريف بغامي رحمه الله نذر حياته للتعليم والتربية والتزكية والتوجيه مذ نعومة أظفاره.

عرفه أهل باتنة معلما، اشتغل في التعليم في بداية الثمانينات في مراحل التعليم بالتدرج؛ التعليم الابتدائي، ثم المتوسط (متوسطة أسماء). ثم بدا له أن يشرف تعليما وتوجيها وتربية على من يتقدم الناس في عباداتهم، في توجيههم، في صلواتهم، فاتجه إلى قطاع الشؤون الدينية يشرف على أئمة المساجد تعليما وتوجيها وترشيدا، فكان أول مرة في التعليم بمعهد تمنراست للإطارات الدينية معلما، ثم بدا له أن يكون مشرفا وموجها كمدير للدراسات، ثم تقلد المنصب نفسه في معهد سيدي عقبة (1987)، ثم تقلد منصب الإدارة مديرا للمعهد نفسه، حتى توجه بعد ذلك إلى معهد تيزي وزو. ثم ارتقى في مناصب التوجيه في التفتيش بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية باتنة، ثم توجه بعد ذلك إلى ولاية خنشلة مفتشا وموجها ومرشدا ثم رئيسا للمصلحة، يرعى الأئمة ومعلمي القرآن ويحنو عليهم ويأخذ بأيديهم.

الموقف ليس موقف إطراء ولا مدح وتمجيد، الموقف - ونحن نعرض لسيرة الرجل أو غيره ممن يؤبَّنون - موقف عظة واستشفاع وتسديد.

موقف عظة؛ لأننا حين نقف هذا الموقف، نؤبن فيه رجلا اعتاد أن يؤبن الأموات، كم من موقف كان محمد الشريف بغامي يقف فيه موقف المؤبن ببلاغة البلغاء وباستفاضة النفس الطاهرة الخاشعة، ونحن نصغي إليه طلبة ومتعلمين، ها هو اليوم يُسَجَّى بين أيدينا مؤبَّنا، لندرك أن ثمة حقيقة كبرى ينبغي أن نعيش لها بوعي. النبي ﷺ سُئل عن خير الناس، فقال عليه الصلاة والسلام: "خير الناس أحسنهم خلقا". وسئل ﷺ: يا نبيَّ اللهِ من أكيَسُ النَّاسِ وأحزَمُ النَّاسِ؟ قال: "أكثرُهم ذِكرًا للموتِ، وأكثرُهم استعدادًا للموتِ، أولئك الأكياسُ ذهبوا بشرفِ الدُّنيا وكرامةِ الآخرةِ".

اليوم، أخونا ومعلمنا ومربينا يقف أمام الحقيقة الكبرى، كُشِفَ الغطاء، صار البصر حديدا: هو، مَن قبله، مَن بعده، أنا، أنت، في مثل هذا الموقف الذي يُعَدُّ من استحضره بحق أذكى الناس، سنقف على حقائق الأمور بلا تزييف، بلا رياء، بلا مراء، يقف الرجل الآن – بعد لحظات – يقف على كل عمل تتجلى مظاهر الإخلاص فيه من عدمها، مظاهر القبول من عدمها، مظاهر التوفيق من عدمها. لذلك فالموت هو الحقيقة العظمى التي لم يُعطَ لها حقُّها المطلوب.

أيها الأفاضل..

الموقف موقف استشفاع، ولذلك فإن النبي ﷺ وهو يؤكد حقيقة خيرية هذه الأمة ويبرز مظهرا من أسمى مظاهر الحفاظ على هذه الخيرية، مظهر الشهادة، ألا وإن من أبرز سمات هذه الشهادة؛ شهادة أحيائها على أمواتها. لذلك لما مُرَّ بجنازة فأثني عليها خيرا، قال نبي الله ﷺ: "وجبت، وجبت، وجبت". ومُر بجنازة فأثني عليها شرا، فقال نبي الله ﷺ: "وجبت، وجبت، وجبت". قال عمر رضي الله عنه: فدى لك أبي وأمي، مُر بجنازة فأثني عليها خير فقلت وجبت وجبت وجبت، ومُر بجنازة فأثني عليها شر فقلت وجبت وجبت وجبت، فقال رسول الله ﷺ: "من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض" [رواه مسلم].

فإذا كان ما يُدلى به من شهادة في حق الرجل ممن نعرف، ولا نزكي أحدا على ربه، فإن هذا الرجل عرفناه يوم أن كنا تلامذة ثم طلبة في الجامعة، عرفناه مشرفا موجها ينير العقول ويصفي الأرواح، في مساجد الطلبة.

عرفناه قامة تشد العقول والقلوب إليها.

عرفناه يوم كنا طلبة في معهد الأئمة بسيدي عقبة، أبا حانيا عطوفا، محبا للخير، محبا لدينه، محبا لوطنه، محبا لأبنائه الطلبة، يسهر الليالي الطوال لينام الطلبة بأمان. أذكر يوم كان يتجول في غرف النوم، في الليل بعد منتصفه، يأخذ بأيدي الطلبة، فيسألهم ويسائلهم حين يجد أحدهم مستيقظا عن همومه. كان يشقى ليسعد الطلبة. كان الرجل صاحب همة، كان صاحب رسالة، كان الرجل يعيش عيش العُسر ليَيْسَرَ ويتيسَّرَ حالُ الآخرين.

عرفناه يوم أن اشتغل بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بباتنة مفتشا بحزمه وعزمه، بصرامته في قول كلمة الحق، يعرفه أبناء القطاع بأنه لا يداهن ولا يماري ولا يداري.

عُرف بحكمته، عرف بممازجته في اتخاذ قراراته بين العقل المتقد والعاطفة الوهاجة.

كان محمد الشريف بغامي رجلا، والرجال قليل.

كان محمد الشريف بغامي محبا للخير يعشقه.

كان ممن زهد في متاع الدنيا.

كان غيرَ طالبٍ لما يطلبه الناس.

كان الرجل بشخصيته ممن يجلب إليه الخير ويدعو إليه.

محمد الشريف بغامي أمضى هذه الحياة في فعل الخير، في التوجيه، في تحصين الشباب في عقولهم وأرواحهم، في الدعوة إلى وحدة هذه الأمة، وإلى ضرورة صياغة منهج يُحَصَّن فيه الفكر وتُحَصَّن فيه الأخلاق.

محمد الشريف بغامي إن سُجِّيَ التراب اليوم، فإن ذكراه – إن شاء ربنا – باقية، خلودا بسنن الله في الوجود، كما قال علي رضي الله عنه: "العلمُ خيرٌ من المالِ؛ العلمُ يَحرسُك وأنت تَحرُسُ المالَ، والعِلمُ يزكو على الإنفاقِ، والمالُ تَنقُصُه النفقةُ، ومَنفعَةُ المالِ تزولُ بزوالِه... ماتَ خُزَّانُ الأموالِ وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقون ما بَقِيَ الدَّهرُ، أعيانُهم مفقودةٌ، وأمثالُهم في القلوبِ موجودةٌ".

سيبقى مَثَلُ محمد الشريف في قلوبنا.

ستذكره الجوامع والمساجد مشرفا على أئمتها.

ستذكره المنابر والمحاريب موجها لوعاظها وخطبائها.

ستذكره مجالس الندوة والمحاضرة والدرس بالمناقشة الجادة وسلامة الصدر.

سيذكره الطلاب بالصدق والإخلاص والحزم والعزم.

سيذكره من يعرفه، القريب والبعيد، سيذكره الكل بالوفاء وبالصفاء وبالهناء.

سيُذكر الرجل، وسنرفع أكف الضراعة والدعوات خضوعا واعتذارا، لا نزكي على الله أحدا، إنما هو موقف ذكر أعمال وجهود الرجال لنستشفع بها بين يدي مولانا وخالقنا الرحمن الرحيم، لنستدر بها الرحمات، لنوجه بها قلوب وعقول الشباب إلى أن يسلكوا هذا المسلك، وإلى أن يتخذوا العبرة والقدوة الحسنة.

محمد الشريف كان يبكي الجزائر، قبل موته زرناه في المستشفى، دمعت عينه على الجزائر وعلى مستقبل ومصير الجزائر، فذِكْرُنا لسيرة الرجل إنما هي دعوة للتشبث بالقيم، ولذكره الذكر الحسن بين يدي دعوات تُرفع إلى بارئ الأرض والسماوات أن يتغمده برحمة منه وأن يعفو عنه.

اللهم اغفر له ذنبه واستر عيبه.

اللهم ما كان من أعماله الصالحات فتقبلها يا أرحم الراحمين، وما كان من الزلل والخطأ – ونحن جميعا أهل لذلك – فاصفح عنه واغفر له.

اللهم إنه نزل بك ضيفا، وأنت خير من نزل به وعنده الضيف، فأكرم مثواه.

اللهم اغفر له وارحمه، اللهم تجاوز عنه، اللهم واغفر لجميع موتى المسلمين.

اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه، وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته.

اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده، واغفر لأموات المسلمين أجمعين.

آمين، آمين، آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✯ ✯ ✯ ✯ ✯ ✯

كلمة الدكتور أحمد زردومي
في تأبين الأستاذ محمد الشريف بغامي رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت وسلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

الله أكبر، الله أكبر، إنا لله وإنا إليه راجعون.

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)) [سورة الفجر].

إخواني الأعزاء..

إنها للحظات تاريخية بالنسبة إلينا نحن الذين عرفوا الفقيد محمد الشريف بغامي، فإننا نودع اليوم أخا كريما وأستاذا وأديبا وصحافيا وإعلاميا، وغير هذه الكلمات التي يمكن أن نقول فيه.

إن أخانا محمد الشريف رحمه الله نشأ وترعرع في قرية تاجرة، بلدية إينوغيسن، دائرة إشمول، ولاية باتنة.

كان كبقية أبناء الجزائريين عشية الاستقلال، يحاول أن يتعلم القرآن الكريم، فتعلم على يد والده جزءا من القرآن الكريم، لأن والده كان معلما للقرآن وكان معروفا في هذه المنطقة. كما تعلم أيضا التعليم الابتدائي في مدرسة إينوغيسن وفي إشمول، وفي إكمالية البشير الإبراهيمي بأريس، ثم انتقل إلى ثانوية عباس لغرور، ثم تحول بعد نجاحه ودخل المعهد التكنولوجي لتكوين المعلمين، وكان من الأوائل.

تخرج والتحق بالتعليم المتوسط، ثم التحق بالجامعة وكان من الطلبة الناشطين في مسجد الطلبة بحي العرقوب في باتنة.

وشاءت الأقدار بعد ذلك أن يتعلم من شخصيتين بارزتين في ولاية الأوراس:

أولاهما؛ الشيخ علاوي محمد إمام مسجد إينوغيسن الذي أطال الله عمره، وندعو له بالذكر الحسن إن شاء الله. فهذا شيخ كبير في منطقة الأوراس، ولكن الكثير منا لا يعرف قيمته، فالشيخ بغامي رحمه الله تأثر بالشيخ علاوي، هذا على مستوى قريتنا وعلى مستوى البلدية.

ثم تأثر بشخصية أخرى، ألا وهي الشيخ عمر دردور، وهو الباديسي الأوراسي، الذي كان من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان يمثلها في الأوراس، وكان يلقب بأسد الأوراس في وثائق الفرنسيين، فلازمه الشيخ بغامي سنوات وسنوات، سواء في مهنته أو في نشاطاته المختلفة. وكان الشيخ بغامي – بعد وفاة الشيخ دردور – من المؤسسين أو من الذين ينادون بتأسيس مؤسسة الشيخ عمر دردور.

هذا الرجل العظيم سي محمد الشريف تأثر بهاتين الشخصيتين البارزتين.

أيضا الأخ محمد الشريف الذي نودعه اليوم، كان خطيبا مفوها وبليغا، وكان يرتجل معظم كلماته وأحاديثه، فقد كانت له قدرة فائقة وفصاحة في اللغة، وكان يرتجل كلماته سواء في المناسبات الرسمية أو في غير المناسبات الرسمية.

كان مسيرا بارزا، وشهادة بذلك فأنا أقول: إنه كان متحكما كثيرا في دواليب الإدارة، وكان يعطي توجيهات لكي يكون الإنسان نموذجا في عمله.

كان أيضا يهتم كثيرا بالفكر الإسلامي بصورة عامة، والفكر الإسلامي الأصيل والفكر الإسلامي المعاصر بصفة خاصة، وكان متفتحا على التيارات الفكرية، وكان كلما يتدخل في بعض الندوات إلا ويقنع مستمعيه بالأدلة والحجج والبراهين الناصعة التي تقنع الخصوم. فهو كان واسع الارتباط وكان ملما بجوانب كثيرة من الفكر بصورة عامة، وملما بالتاريخ الجزائري سواء التاريخ القديم أو التاريخ المعاصر. وكان يرد على كثير من المرجفين في حق التاريخ الجزائري، كان يرد عليهم بالأدلة المقنعة واللازمة.

وكان من مشاريعه الكبرى أيضا أن يجمع مآثر ويوثق تاريخ الشهداء وتاريخ المجاهدين وتاريخ المصلحين في منطقة الأوراس بصورة عامة، دون أن ينسى علماء الجزائر في ربوع الوطن.

شيخنا محمد كان يهتم بإصلاح ذات البين منذ أن كان صغيرا، وكان يصحب أعيان مدينة إينوغيسن وإشمول ودائرة أريس بصفة عامة، وأصبح فعلا يقوم بإصلاح ذات البين بين أعراش منطقة الأوراس عموما؛ في بريكة، في خنشلة، في تبسة، في كل مكان.

إنه فعلا رجل يستحق هذه الوقفة، لكي نبرز بعض محاسنه.

كان صاحب علاقات اجتماعية متميزة، يضحك مع الصغير ومع الكبير، ومع القوي ومع الضعيف، كان فعلا يقوم بالعلاقات الاجتماعية ويوصينا أيضا أن نحافظ على هذه العلاقات الاجتماعية.

كان حاضرا في معظم مجالس العزاء في السنوات الأخيرة، ما من شخصية – على الأقل ممن أعرفهم أنا – تتوفى، إلا ويلقي كلمات تأبينية على أرواح هؤلاء المصلحين الصادقين المجاهدين أو العلماء أو حتى بعض السياسيين.

كان هدفه أن يربي الأئمة، وكان هذا هو هدفه الأكبر، فكان يحث الأئمة على أن يكونوا نماذج للعطاء العلمي والعطاء الأخلاقي، وأن يكونوا نماذج حتى في ملابسهم وفي هندامهم وفي جلساتهم وفي كل شيء. وكل هذا قل أن تجد أمثال هؤلاء الرجال الذين يهتمون بمثل هذه الأمور.

كان يشجع الخطباء النجباء في كل مكان أينما حل أو ارتحل، حيث في كل مسجد يحل به في القرى وفي المداشر، عندما يلمس أن خطيبا معينا لديه قدرات بلاغية أو إلقائية، كان يشجعه ويأخذ بيده ويتصل به باستمرار.

كان أيضا يشجع على حفظ القرآن، حتى بالنسبة للعجائز. وهذه أيضا ميزة من ميزات أخينا وصديقنا وأستاذنا محمد الشريف بغامي.

كان حريصا أيضا أن ينظم كل سنة حفل الاختتام في معهده، وكان يستدعي لهذا الحفل نخبة من المسؤولين ونخبة من العلماء، من أجل أن يلم الشمل بين جميع الأطراف، بين السياسيين والمصلحين، وهذه أيضا ميزة يمتاز بها أخونا محمد الشريف رحمه الله.

كان أيضا – وهذا ما أخبرني به بعض الإخوة – له مشروع في المعهد أن يحفر بئرا، ليكون خيرا للمعهد وللسكان بصفة عامة، فنرجو من المحسنين أن يكملوا هذا المشروع.

كان أيضا عضوا في البعثات الوطنية للحج عدة مرات، وكان ألقى كلمات في القناة الثقافية السعودية في حج 2017، وكانت هذه الكلمة مؤثرة ومعبرة، بمعنى أن هذا الرجل كان لديه أيضا صدى عالمي إسلامي.

هذه المجهودات لأخينا محمد الشريف رحمه الله أتمنى أن تبرز في يوم دراسي أو كتيب أو ما أشبه ذلك.

نسأل الله له الرحمة والمغفرة.

اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه، وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته.

اللهم لا تحرمنا أجره يا رب العالمين.

اللهم ارزقه جوار رسول الله ﷺ، وأكرمه بلقائه يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا وله، وارحمنا وارحمه، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



كلمات الرثاء والوداع والتعزية

فارس يترجل

بقلم: الدكتور عز الدين كيحل[1]
أستاذ سابق في معهد سيدي عقبة
وأستاذ التعليم العالي في كلية الحقوق بجامعة بسكرة حاليا

ها هو ذا الأستاذ محمّد شريف بغّامي يفارقنا إلى جوار ربّه بعد مسيرة عمل لم يعرف فيها معنىً للكلل والملل..

ها هو ذا يلقي عصاه ويرتاح من عناء الدنيا بعد أن نالت منه ومن أسرته التي لا شكّ في تقصيره في حقّها في سبيل عمله (مديراً لمعهد سيدي عقبة/ مفتّشاً بين باتنة وخنشلة/ ثمّ مديراً لمعهد زانة بباتنة).

لقد كان عمله هو محور اهتمامه بالليل والنهار، لا يفكّر إلاّ فيه، ولا يتحرّك إلاّ حيث ينفع المؤسّسة ويخدم الطلبة..

ها هو ذا يترجّل بعد أن ملأ صحيفته من الخير والحسنات، نحسبه كذلك ولا نزكّيه على الله..

نسأل الله عزّ وجلّ أن يرحمه برحمته الواسعة، ويجزل مثوبته، ويبوّئه الفردوس الأعلى.

✯✯✯✯✯✯

---

[1] نشرها على صفحته في فايس بوك يوم 13 جويلية 2019م.

أخ عزيز فقدناه.. الأستاذ محمد الشريف بغامي
الأستاذ جمال صوالحي(1)

نُصاب اليوم في رجل من رجالنا وتنتهي حياة أخ عزيز من إخواننا كانت صحبته كالعسل المصفى.

لن أنسى حديثه في المجالس التي كان فيها كواسطة العقد كأنه في الأدب واحة خضراء، إذا أطلق عنان لسانه الطاهر خرجت منه كلمات كالشهد، عباراته جزلة تتخللها نكت كأنها طبق على طبق فهو نموذج في الوعظ والارشاد والتربية، حتى ملكت مجالس العلم هواه فصارت اتجاها في حياته، وما المعهد الذي مات فيه ومات لأجله لأدل على ما فيه، فقد كان ميدانا في حياته فأداره وأحسن إدارته.

إنه الداعية والمربي الثبت الزاهد محمد الشريف بغامي الذي يحق لجثمانه الطاهر أن يُطاف به على كل مساجد باتنة كما كان يطوف عليها حيا لتشهد له بنقاوة سريرته ودماثة أخلاقه ووفائه لدينه ووطنه.

عزاء نفوسنا المفجوعة وسلوى قلوبنا المكلومة بموتك أخي محمد الشريف طيب ذكرك بين الأخيار ولهج الألسنة - وما أكثرها - بالدعاء لك بالمغفرة والرضوان من رب رحيم كريم كثير ما دمعت عيناك عند ذكره.

هذا جهد المقل من أخ أحبك في الله وفارقك على حبه، أخ شددت على يده وأنت في النزع الأخير كأنك تطلب مرافقته إلى حيث لا ينتقل الرفيق إلا بعد حين.

✯✯✯✯✯✯

---

(1) نشرها على صفحته في فايس بوك يوم 13 جويلية 2019م.

تعزية المسجد العتيق "الشيخ الطاهر مسعودان" ـ باتنة

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.. إنا لله وإنا إليه راجعون..

إيمانا بقضاء الله وقدره، وبقلوب يعصرها الحزن والأسى، بلغنا نبأ وفاة المغفور له باذن الله الأستاذ الفاضل والشيخ الجليل محمد الشريف بغامي، ابن منطقة تاجره بدائرة إشمول ولاية باتنة.

عرف المرحوم بعلو الأخلاق والطيبة وحسن المعاشرة.

الشيخ الفاضل محمد الشريف يعد من الإطارات الكفأة للجزائر كلها وليس لمنطقته أو عرشه فقط، حتى لا نقزم من مكانة الرجل التي صنعها بعصاميته.

كان محاضرا بارعا ومحاورا مقنعا بحكمة ورزانة، وخطيبا مصقعا ملك ناصية اللغة، وباحثا جاد، وأستاذا ملما بشتى العلوم، متوجا كل ذلك بحفظه لكتاب الله حفظ المتمعن المتدبر.

وإثر هذا المصاب الجلل يتقدم إمام مسجد العتيق الشيخ حامدي عزوز، أصالة عن نفسه ونيابة عن رواد مسجد العتيق وكذا مسؤول صفحة العتيق، بأسمى وأخلص عبارات التعزية والمواساة لعائلة الفقيد واسرته وكذا طلابه ورفاقه من الأهل والخلان، متضرعين إلى الله العلي القدير أن يرحمه ويغفر له ويدخله جنة الرضوان.



حافظ أسرار الشيخ عمر دردور الأستاذ بغامي في ذمة الله

بقلم: أ. صالح سعودي
صحافي مراسل جريدة الشروق اليومي

توفي ليلة السبت 10 ذو القعدة 1440هـ، الموافق 13 جويلية 2019م، الشيخ والأستاذ محمد الشريف بغامي عن عمر يناهز 62 سنة، حيث وافته المنية في المستشفى الجامعي بباتنة إثر معاناة مع المرض الذي ألزمه الفراش منذ مطلع شهر ماي المنصرم، تاركا وراءه مسارا مهنيا مميزا، حيث خدم قطاع الشؤون الدينية على مستوى منطقة الأوراس والزيبان تسييرا وتوجيها وتدريسا، كما كان قريبا من أعلام وشيوخ الأوراس، وفي مقدمتهم العلامة الشيخ دردور رحمه الله.

بوفاة الشيخ محمد الشريف بغامي، يكون قطاع الشؤون الدينية لولاية باتنة قد فقد عنصرا بارزا بثقافته وحسن تسييره، حيث يجمع الكثير على البصمة التي تركها طيلة مساره المهني الذي يمتد إلى منتصف الثمانينيات، ورغم أن الشيخ محمد الشريف بغامي يعد من خريجي معهد اللغة والأدب العربي بجامعة باتنة مطلع الثمانينيات (درس إلى جانب الإعلامي سليمان بخليلي)، إلا أنه فضل في مشواره المهني خدمة قطاع الشؤون الدينية بدل العمل في الحقل التربوي، وهو الأمر الذي جعله يتولى مهام ومسؤوليات عديدة في مديرية الشؤون الدينية لولاية باتنة وبسكرة وخنشلة، من ذلك إشرافه على معهد تكوين الأئمة بسيدي عقبة، وإدارته لشؤون المعهد الوطني للتكوين المتخصص للأسلاك الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف بباتنة، وهو آخر منصب تولاه قبل وفاته.

وقد عرف الفقيد بفصاحته وثقافته وتواضعه وحسن تواصله، حيث يقول عنه الدكتور مسعود فلوسي: "أخونا الكريم وصديقنا العزيز محمد الشريف بغامي عرفناه رجلا فذا ومسيرا متميزا ومثقفا رائدا"، وهي عبارات تعكس الصفات التي تميز الفقيد الذي كان يسعى دوما إلى لم الشمل وتوحيد الرؤى وتسوية الخلافات، من خلال ديناميكيته وحنكته والثقة التي يحظى بها من طرف الجميع، في الوقت الذي كان قريبا من مشايخ وعلماء منطقة الأوراس، على غرار العلامة الشيخ عمر دردور وبن دعاس والبخاري ومحمد علاوي

وغيرهم، كما كان مهتما بكتابة وتدوين تاريخ الحركة الإصلاحية بمنطقة الأوراس، وفي مقدمة ذلك بصمة جمعية العلماء المسلمين في هذا الجانب.

الشروق اليومي، يوم: 14 جوان 2019م

وفي يوم 16 مارس 2020 كتب الأستاذ صالح على صفحته في فايس بوك: "الشيخ الجليل والأستاذ القدير محمد الشريف بغامي رحمه الله..

لم أعرف كيف تذكرته الآن، وهو الذي يبقى حاضرا دوما في الأذهان.. هذه الصورة تعد ذكرى لأول لقاء فعلي بيننا، بصفة يعرفني وأعرفه، في مكتبة الاحسان، خلال جلسة أقيمت على شرف المجاهد علي مزوز.. الأستاذ محمد الشريف بغامي رحمه الله قدم الكثير للبلاد والعباد.. بعلمه وعمله وحكمته وتواضعه.. الموت حق لكن يصعب تصديق أن الأستاذ محمد الشريف غادرنا إلى الأبد صائفة 2019.. ترك فراغا رهيبا في الواقع الميداني والافتراضي.. وهو الذي عودنا على تشجيعاته وتوجيهاته وإطلالاته البهية.. لكن سيبقى في قلوبنا بكفاءته وخفة روحه وجديته وبلاغته الممزوجة بابتسامته وحسن تواصله. رحمه الله وكانت الجنة مثواه".



وداعا أخي سي محمد الشريف بغامي
أيها المرابط العتيد في عمق الجبهة الثقافية للمجتمع
بقلم: الشيخ الدكتور الطيب برغوث[1]

مفكر بارز وأستاذ جامعي جزائري

تلقت مؤسسة السننية للدراسات الحضارية، اليوم السبت 13 جويلية 2019 ببالغ الحزن، وجميل الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، نبأ وفاة الأخ العزيز الشيخ سي محمد الشريف بغامي مدير معهد تكوين إطارات الشؤون الدينية ببلدية زانة بولاية باتنة، عن عمر ناهز الستين عاما، بعد مرض ألزمه الفراش منذ مدة.

وبهذه المناسبة الأليمة، تعبر مؤسسة السننية التي يشرف عليها الدكتور الطيب برغوث، عن حزنها العميق بهذا المصاب الجلل، وتدعو الله تعالى أن يتغمد الفقيد العزيز بواسع رحمته، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ويلهم عائلته وذويه وتلامذته وكل أصدقائه وأحبائه الصبر والسلوان.

لقد كان سي محمد الشريف بغامي من خيرة رجال الجزائر بحق، في علمه ووعيه وأخلاقه وإخلاصه وتواضعه وتفانيه وإتقانه لعمله، وغيرته على دينه ووطنه وأمته، وحرصه على المصالح العليا الحقيقية لبلده، وتطلعه إلى المساهمة الجادة في خدمة نهضة هذا البلد الكبير بتاريخه وأمجاده وإنسانه وأرضه وخيراته وطموحاته ومسؤولياته والمخاطر المحيطة به.

ولد هذا الإنسان الكبير بعلمه وعمله ووعيه الرسالي المتوازن بأنوغيسن بمنطقة أريس بولاية باتنة، سنة 1957 ونشأ في أسرة قرآنية حيث كان أبوه معلم قرآن، ثم درس بثانوية عباس لغرور الشهيرة بباتنة، وتخرج من معهد الآداب بجامعة باتنة بداية الثمانينات من القرن الماضي، وحرص على إتمام دراساته العليا لكن انخراطه في العمل الإداري عاقه عن ذلك، ولم يتح له أي وقت للدراسة المنتظمة.

---

[1] نشرها على صفحته في فايس بوك يوم 13 جويلية 2019م.

اشتغل بعد تخرجه من الجامعة في سلك الشؤون الدينية، فتولى التأسيس والتدريس بمعهد تكوين الأئمة بتمنراست فترة من الزمن، وسيدي عقبة وخنشلة واستقر به المقام في معهد تكوين إطارات الشؤون الدينية ببلدية زانة بولاية باتنة، الذي بناه المواطنون هناك بأموالهم الخاصة وتولى الفقيد إدارته حتى وافاه الأجل. وقد فتح له فرعا في دشرة أولاد موسى التي وزعت فيها أول أسلحة انطلاقة ثورة نوفمبر العظيمة سن 1954 .

وقد حباه الله تعالى بمرافقة العلامة الشيخ عمر دردور رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته، في كل هذا المشوار العلمي والتربوي والإداري الطويل الخصب، واستفاد من علمه وخبرته وروحانيته وأخلاقيته ووطنيته ورساليته النادرة، فكان نسخة منه في أخلاقه وسمته وفعاليته رحمه الله تعالى.

وأذكر أننا كنا نشارك معا في ورشات أو مخيمات ثقافية عديدة كل صيف، وكان كثير الصمت وقورا، عظيم الإنصات والتركيز، دقيق الملاحظة، تشتاق إلى كلامه من شدة صمته، وقد استفدنا معا من هذه الوُرش الثقافية كثيرا جدا، التي كان لها فضل كبير في تأسيس الوعي السنني المتوازن لدى كثير من الشباب الذين حظوا بالنهل منها في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي خاصة، وشكلت أرضية فكرية قوية في توازنهم النفسي والسلوكي والاجتماعي.

لقد فقدت الجزائر بوفاته شخصية وطنية كبيرة، وخبرة فكرية وثقافية وتربوية وإدارية غنية، وعنصرا مهما من عناصر التوازن الفكري والثقافي، وداعية كبيرا من دعاة الاعتدال والتوسط والإيجابية والمرونة المنضبطة الفعالة، ومصدرا من مصادر نشر وبناء المعرفة والثقافة السننية المتوازنة.

أخبرني أخي العزيز سي عبد الحميد مصباح، أنه زاره مرة إلى معهد تكوين الإطارات الدينية بزانة، فاستقبله وأكرمه، وكان من بين ما قاله له، أنه كان يسأل طلبته في المعهد، هل قرأتم كتب الشيخ أحمد سحنون وكتب الشيخ الطيب برغوث؟ فإذا وجدهم لم يقرؤوها نصحهم بقراءتها وقال لهم: لقد فاتكم شيئ كثير من الوعي والاعتدال والتوازن والرسالية. فرحمة الله وسلامه عليه في الصالحين إن شاء الله تعالى.

والأخ العزيز سي محمد الشريف بغامي رحمه الله، رجل أديب ذواقة، يدرك قيمة الأفكار الأصيلة، لذلك أذكر هنا تأكيدا لحسه الفكري السنني الصادق

- وهذا ليس مدحا لنفسي أو دعاية لكتبي البسيطة، فأنا لا أحتاج إلى ذلك، ولكن للعبرة وتأكيدا لنصيحته السابقة -.

فقد زارني في بلاد الغربة منذ أكثر من خمس عشرة سنة، أحد الجزائريين الشباب، وكان يشتغل في سلك الشرطة، ثم غادر إلى بلاد الغربة، وكان لا يعرفني ولا يسمع بي، واكتشفني من خلال حضوره لبعض خطب الجمعة التي ألقيها في المسجد الذي أشرف عليه في مدينة تروندهايم بالنرويج، وعرف بأن لي بعض الكتب، فطلب مني أن أعيره بعضها، وكان عندي كتاب القدوة الإسلامية وكتاب الدعوة الإسلامية والمعادلة الاجتماعية، وهما من أوائل الرسائل البسيطة التي كتبتها في نهاية السبعينات من القرن الماضي، ونشرت في بداية الثمانينات منه، لمواجهة موجة الاستلاب الفكري الذي كانت تتعرض له الصحوة الروحية والأخلاقية والاجتماعية العارمة في بلادنا.

وبعد شهر أعادها لي وسألني متأسفا: هل قرأ الجزائريون هذه الكتب يا عمي الطيب؟ أظن أنه لو قرأنا هذه الكتب جيدا، ما وقع لنا ما وقع، ولما وجدت نفسي وأنت وغيرنا كثير هنا أو هناك في كل بقاع الأرض!

رحم الله الأخ العزيز سي محمد الشريف بغامي، على ما كان يقوم به من توجيه وإرشاد وبناء ووقاية للمجتمع من كل أشكال الاستلابات والاضطرابات المنهكة، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله، وألحقه بالصالحين من عباد الله الذين عاشوا للإصلاح والبناء في مجتمعاتهم، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة بمنه وفضله وكرمه.

اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، ووفقنا لنمضي على طريق الرسالية والإصلاح حتى نلقاك ونحن على ذلك لا مغيرين ولا مبدلين.



كلمة في وداع الشيخ محمد الشريف بغامي رحمه الله

بقلم: الأستاذ الدكتور مرداسي الجودي
أستاذ بكلية الأدب العربي – جامعة باتنة1

إنه الشيخ محمد الشريف بغامي، الذي يعد قامة من القامات، وهامة من الهامات التي ودعتنا يوم السبت 2019/07/13 إلى بارئها الأعلى.

الشيخ محمد الشريف بغامي ابن مدينة إينوغيسن، رأى النور في 1961/05/17، ومن أعلام ولاية باتنة. رحل أخونا المربي الداعية المصلح وأحد فرسان الإسلام الخيرين، كان يعيش قضايا أمته، يعد واحدا من رجال الدعوة المميزين، كان خطيبا مفوها يتمتع بفصاحة اللغوي العارف العالم، شخصية فذة كان لها بالغ الأثر في الحياة الاجتماعية والدينية والأكاديمية.

وكان صفحة ناصعة من صفحات عرش بني بوسليمان، حيث كان دائم الحضور في مجالس الصلح وإصلاح ذات البين، أينما وجد وحل وحضر حُلّت النزاعات والشقاقات.

يسجل للشيخ دوره الكبير في مواقفه الوطنية وجهوده في خدمة الوطن والأمة أثناء توليه مختلف المناصب التي تقلدها خلال سنوات عمره، تحمل مسؤوليات ثقال في التعليم والتكوين، يربي الشباب ويغذي الجيل.

أشهد أن الرجل من خيرة طلبة الجامعة خلال تواجده فيها – كلية الآداب واللغات – جامعة باتنة في منتصف الثمانينات - الجيل الذهبي - حيث درّسته في مادة فقه اللغة، تعلّم منّا وتعلّمنا منه، يمتلك فن الخطابة والفصاحة، يتصف بصفات الخطيب المتميز، يحفظ دواوين شعرية عدة منها: ديوان لمصطفى الغمار، وكتب: آثار البشير الإبراهيمي، وتاريخ الأدب لمصطفى صادق الرافعي، وآثار عبد الحميد بن باديس وغيرها كثير، نجح في مسابقة الماجستير مرات عدة، ولم يلتحق لاستكمال الدكتوراه، ففضل تكوين الرجال وتقديم الرسالة، ومن الرعيل الأول الذين عايشوا الجامعة عن قرب من حيث الصراع الفكري والإيديولوجي، وهناك صقلت مواهبه.

إنه مدرسة من مدارس الشيخ عمر دردور، حيث تأثر به كثيرا.

شارك وساهم في تقديم الكثير من الندوات والمحاضرات والدروس المسجدية، يملأ مقامه بالعلم والمعرفة، مكانته الثقافية والأدبية تتعدى حدود

الوطن إلى البلاد العربية والإسلامية، ومداخلته في قناة الثقافية السعودية في برنامج "من كل فج عميق" يوم 2017/08/30 خير دليل، فكان نعم الخطيب ونعم السفير.

إنك اليوم أيها الإنسان مودع أخاك أو عزيزك، و اليوم أو غدا سيودعك غيرك، ذلك ما وقفنا عنده مع الشيخ مجد الشريف بغامي، حيث بالأمس القريب أبّن الكثير من الإخوة منه:م إبراهيم خبزقة، ولزهر مختاري، وبلقاسم منصوري، وأحمد قادة وغيرهم، وهاهو اليوم يؤبّن، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

إن فقدك أيها الشيخ ترك فينا أثرا بالغا من الحزن والأسى، خسرتك الأمة الجزائرية والعربية، ولكننا لا نقول إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى (إنا لله وإنا إليه راجعون). نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياه من الخالدين في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقا.

محطات أخرى من سيرته:

- مدرسة تازغت بسقانة مرحلة من مراحله الدراسية.

- يمتلك ناصية اللغة العربية والفرنسية والأمازيغية، وفن الخطابة وحتى الغناء، حيث كان يذكرني من حين لآخر بأغاني السبعينات لما كان يدرس في أريس ساكنا عند أم إسماعيل اجعره بحي ذراع الزيتون.

- يحمل مشروع الكتابة حول سيرة الشهداء والمجاهدين والمصلحين.

- من الأوائل الذين فكروا في إنشاء جمعية خاصة بالمثقفين لعرش بنى بوسليمان.

- أول من وظف الوظيفة الدلالية لصوت التاء المربوطة والتاء المفتوحة في الكلمات التأبينية حيث "الحياة" بالتاء المربوطة تدل على محدودية الحياة الدنيا، أما "الموت" بالتاء المفتوحة فتدل على الحياة الممدودة والخلود...

- كانت بيني وبينه مكاتبات ولقاءات، ففي السنوات الأخيرة من حياته ولما انتشرت وسائل الاتصال منها (الفايسبوك) كان يذكرني يوميا بالدعاء أو بالحديث أو بآية قرآنية أو بحكمة من الحكم.

- كونه من المطوفين والمرشدين في بعثات الحج مرات عدة، كان يشكو من تصرفات بعض الحجاج الجزائريين، حيث اقترح رسكلتهم وتكوينهم قبل قصدهم البقاع المقدسة.

- في إطار النشاطات العلمية كان يستضيف من حين لآخر أستاذا من الأساتذة ليقدم محاضرة لطلبة المعهد في مختلف التخصصات، وقد استضافنا مرة أنا والدكتور محمد حجازي، قدمنا محاضرتين في صناعة المعاجم وتحقيق المخطوطات .

- كتب مقالات عدة حول الشيخ عمر دردور وأقام له أياما دراسية، وكان من الذين اقترحوا تسمية جامعة باتنة2 باسم الشيخ عمر دردور رحمه الله.

- أزعم أنني آخر من زاره بالمعهد قبل نقله إلى المستشفى بمعية الأستاذ عمار زرقين، صلينا صلاة العصر في المسجد القريب، ثم طاف بنا بالمعهد وأوصى بإنجاز وتكملة البئر التابع للمعهد، وهنا يحضرني فحوى الحديث الشريف: "إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها".

هذه هي الدنيا، يمر الرجال ويبقى الأثر الطيب والعمل الصالح.



مقالات ومداخلات اليوم الدراسي

الأستاذ محمد الشّريف بغّامي.. حياته وأعماله

الأستاذ ميلود قرفة

(المكلّف بتسيير المعهد الوطني للتكوين المتخصص - زانة البيضاء - باتنة)

توطئة:

أوّل مرّة أسمع فيها بشخصيّة الأستاذ محمد الشّريف بغامي كانت في المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدّينيّة بسيدي عقبة ولاية بسكرة، وذلك لمّا وُظِّفت به أستاذا في ديسمبر 2002م، حيث علمت أنّه كان أحد مديريه في نهاية الثمانينات وبداية التّسعينات من القرن الماضي، عندما حدّثني عنه زملائي أساتذة المعهد حينها، ولم أسمع عنه إلا الخير..

ولمّا انتقلت من معهد سيدي عقبة ببسكرة إلى معهد زانة البيضاء بباتنة في نوفمبر 2012م، وجدته قد عيِّن مديرا على المعهد الوطني الجديد بزانة البيضاء بباتنة، وعند وصولي إلى المعهد صبيحة يوم الأحد 03 نوفمبر 2012م، وركنت سيّارتي عند بوابته، استقبلني شخصيا بابتسامة فيها الكثير من معاني الجِدّ والحيويّة والشّموخ والتّفرّس، وتبادلنا التّحايا والتّرحاب فاستضافني وقال لي مباشرة بعد نزولي من سيارتي: "أنت وسيارتك في خدمة المعهد"، فقلت له: "وهو كذلك"، خصوصا وأنّ المعهد قد فُتِحَ حديثا، ويحتاج إلى كثير من الوسائل والمرافق والموظفين... وكنت وإياه حينها الموظفان الرسميّان الوحيدان فيه، وبَدأَتْ رحلة العمل والجِدّ والاجتهاد، إلى أن طلب منّي المحترم الأستاذ الجليل الدّكتور الحيِيّ المتواضع، صاحب الأخلاق الحسنة؛ أستاذي الفاضل (عبد الباسط دردور) الكتابة حول سيرة وشخصية الأستاذ (محمد الشّريف بغامي)، وذلك إتماما لمشروع بحثٍ يقوم به بمعية الأستاذ الدكتور (أحمد محمود عيساوي) حول أعلام منطقة الأوراس (باتنة).. فمن هو محمّد الشّريف بغّامي؟

1- اسمه ونسبه ونشأته وطلبه للعلم:

هو: محمد الشّريف بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بغّامي، المدعو (الصّادق)، أمّه: كلثوم بنت بلقاسم بن عبد الرحمن بغّامي، والشّيخ محمد الشّريف بغّامي يأتي في التّرتيب الخامس بين إخوته، متزوّج وأب لثمانية أولاد؛ خمسة ذكور وثلاث بنات.

عَرَّف نفسه في برنامج (من كل فج عميق) في القناة الثّقافية السّعودية بالمدينة المنوّرة بالمملكة العربّية السّعودية في موسم الحج لسنة 1438هـ الموافق لسنة 2017م لمّا استضافته القناة؛ بأنّه من مواليد 17 ماي 1961م في قرية من قرى الأوراس تسمّى (تَاجْرَة)، من بلدية (إينوغيسن) من الأوراس - رمز البطولة والجهاد الذي منه انطلقت الثّورة التّحريرية المباركة لتحرير البلاد والعباد -.

حَفظَ ما تيسّر من القرآن الكريم على يد والده الذي كان معلما للقرآن وكان مناضلا في الحركة الوطنية، ثمّ حفظَ أجزاء منه على يد بعض شيوخ القرية وشيوخ القرى المجاورة، ثم انتسبَ إلى التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، ثمّ شارك في مسابقة الالتحاق بالمعهد التكنولوجي لتكوين المدرسين، فتكوَّن فيها ونجح وكان من بين الأوائل، ليتمّ توجيهه إلى معهد خديجة بولاية باتنة ليتكوَّن أستاذا للتّعليم المتوسّط.

تخرّج والتحق بصفته معلما للغة العربية وللغة الفرنسية أيضا، فعمل مدرسا في الابتدائي من 1980م إلى 1981م في مدرسة سميّة للبنات بباتنة، ثم أستاذا للتّعليم المتوسّط بإكمالية أسماء بنت أبي بكر الصدّيق بباتنة.

أكمل دراسته ونال شهادة الباكلوريا سنة1981م، وشاء الله له أن ينجح في الالتحاق بالجامعة، وبعد تخرُّجه منها وحصوله على شهادة الليسانس في اللغة والأدب سنة 1986م، التحق بالتّعليم الثّانوي.

وفي الفترة التي كان فيها المصلح والمربي والمجاهد الشيخ (عمر دردور) - رحمه الله - مديرا لمعهد سيدي عقبة لتكوين الإطارات الدينية بولاية بسكرة - حيث ضريح الفاتح عقبة بن نافع الفِهري - نصحه وحضَّه شيخه الشيخ عمر دردور(رحمه الله) بالانتقال من وزارة التّربية والتّعليم إلى وزارة الشّؤون الدينيّة والأوقاف، فنزل عند توجيهه وإرشاده.

سجّل في دراسات ما بعد التّدرّج مرّتين؛ الأولى سنة 1990م فلم يكمل دراسته لظروفه الاجتماعية الصعبة وانشغاله بجلب القوت لعياله، والثّانية سنة 2000م، ولم يكمل دراسته حينها بسبب متطلبات العمل الإداري وكثافته.

2- مسؤولياته الإدارية:

عمل أستاذا بمعهد تكوين الإطارات الدينية بتمنراست، ثمّ مديرا للدراسات والتداريب من سنة 1986م إلى 31 ديسمبر 1987م وهو تاريخ

إغلاق المعهد، لينتقل إلى معهد سيدي عقبة مديرا للدراسات والتداريب ونائبا للشيخ عمر دردور الذي كان مديرا للمعهد آنذاك، ثم عمل مديرا لمعهد سيدي عقبة ببسكرة من جانفي 1988م إلى نوفمبر 1991م، ثمّ انتقل إلى المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية سيدي عبد الرحمن اليلولي بـ(عزازقة) في ولاية تيزي وزو مديرا من نوفمبر 1991م إلى 27 فيفري 1993م، ليُنتدب بعدها إلى وزارة الشّؤون الدّينية بالمديرية الفرعية للتكوين مع التكليف بمهام البرمجة ومتابعة نشاطات المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية، وفيها قام بإعداد جملة من البحوث والعروض منها على الخصوص:

- المهام التربوية والإدارية لمديري الدراسات والتداريب بالمعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية.

- المهام الإدارية والتربوبة لمديري المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية... وغيرها.

عمل الأستاذ الشيخ محمد الشريف بغامي إماما أستاذا منتدبا إلى نظارة الشؤون الدينية لولاية باتنة، مع ممارسة مَهَمَّة مفتش التعليم المسجدي والتكوين بموجب مقرر تكليف منذ 22 أفريل 1994م، ثمّ عمل مفتشا للتعليم المسجدي والتّكوين بولاية باتنة إلى غاية جانفي 2001م، حيث انتقل إلى مديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية خنشلة مفتشا للتعليم المسجدي والتكوين من جانفي 2001م إلى غاية 23 أوت 2011م، وخلال هذه الفترة عمل رئيسا لمصلحة التعليم القرآني والتكوين والثقافة الإسلامية بمديرية خنشلة منذ 16 سبتمبر 2006م، كما كان يستخلف مدير الشؤون الدينية والأوقاف بالنيابة في عطلته السنوية، من 2002م إلى 2011م.

وفي 23 أوت 2011م عُيِّن من طرف وزير الشؤون الدينية والأوقاف السيد أبو عبد الله غلام الله مديرا للمعهد الوطني للتكوين المتخصص للأسلاك الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف بزانة أولاد سبع، بلدية زانة البيضاء دائرة سريانة ولاية باتنة إلى غاية وفاته رحمه الله تعالى يوم الجمعة 12 جويلية 2019م في الساعة 23:00 ليلا.

أكرمه الله بالحج إلى البقاع المقدسة ثلاث مرات في إطار بعثات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف لتأطير حجاج بيت الله الحرام؛ سنة 2002م، ثم سنة 2014م، ثمّ سنة 2017م.

3- أهمّ نشاطاته:

- شارك في الملتقيات التكوينية لقطاع الشؤون الدينية والخاصة بالمفتشين ورؤساء المصالح والموظفين والوسائل والمحاسبة مع تنشيط وإثراء محاور تلك الملتقيات وتولي مهمَّة مقرر خلالها.

- تأطير الندوات التربوية الشهرية والتّكوين المستمر على مستوى ولايتي باتنة وخنشلة.

- شارك في الأيام الدراسية المنظمة في كل من ولايتي باتنة وخنشلة بخاصة، وبعض الولايات الأخرى بعامة (بسكرة، سوق أهراس، أم البواقي، قسنطينة) بصفته منظما ومحاضرا ومسيرا لأشغال بعض تلك الأيام الدراسية.

- شارك بمداخلات قيّمة في ملتقيات وطنية ودولية علمية وثقافية وأدبية وتاريخية، منها الملتقى الدولي الذي نظمته وزارة الشؤون الدينية والأوقاف للأئمة والمرشدات الدينيات بزرالدة بالجزائر العاصمة في أفريل 2016م، والذي كان بعنوان: (الإمامة وظيفة ورسالة)، وكان مضمون مداخلة الشيخ محمد الشريف بغامي حينها: حول أحد النّماذج الراقية من أئمتنا الجزائريين؛ وهو شيخه وأستاذه المجاهد المصلح والمربي الشّيخ (عمر دردور) - رحمه الله - الذي زاوج بين الوظيفة والرسالة في الإمامة.

- شارك بفعالية في تنشيط الملتقيات التي نظمتها جمعية العلماء المسلمين عن طريق شعبها الولائية، خصوصا شعبتي عين ولمان بولاية سطيف، وشعبة ولاية باتنة.

- كان عضوا بمجلس التوجيه بكلية العلوم الاجتماعية والإسلامية بولاية باتنة.

- كان عضوا بالمجلس العلمي والتوجيه بالمتحف التاريخي الجهوي لولاية خنشلة.

- ساهم بفعالية في اللجنة الولائية لإحياء المناسبات الوطنية بولاية خنشلة لمدة عشر سنوات من (2001 إلى غاية 2011م)، من حيث البرمجة، التوجيه وإلقاء المحاضرات والكلمات، مع المشاركة في الندوات التاريخية كلّما كانت مناسبة لذلك..

- كما ساهم في إعداد حصص إذاعية وتنشيطها في إطار برنامج (نور ومنار) بإذاعة الأوراس حول مجموعة من أعلام منطقة الأوراس بعامّة،

ومازالت تلك الحصص تذاع في الإذاعة الوطنية وإذاعة الأوراس مع حصّة تلفزيونية حول (علماء الجزائر) رفقة الصحافيين عثمان أمقران وموسى يحياوي بصفتهما منشطين.

- كما ساهم في إعداد حصص إذاعية في إطار برامج متعددة منها: (زوم على المجتمع) و(واقع ورؤى) و(في رحاب رمضان) و(من حياة الصحابة)، وحصص تاريخية أخرى بإذاعة خنشلة الجهوية والقناة الإذاعية الوطنية الثانية النّاطقة بالأمازيغية.

- كان ضيفا على قناة الثقافية السعودية بالمملكة العربية السعودية في برنامج (من كلّ فجّ عميق)، في إطار بعثة الحج التي كان الأستاذ محمّد الشّريف بغامي أحدّ مؤطّريها سنة 1438هـ الموافق لـ 2017م، وفي البرنامج عرّف بنفسه وبالجزائر وبتاريخها الثوري المشرق، كما أشاد بالعلاقة المتميّزة التي تربط البلدين، وبالجهود المحمودة التي تبذلها السلطات السعودية في خدمة ضيوف الرحمن.

- كما كان من بين المنظّمين والمشاركين بالشهادات الحيّة في الشريط الوثائقي الذي أعده التلفزيون الجزائري سنة 2010 حول حياة الشيخ عمر دردور - رحمه الله تعالى - (أسد الأوراس)، وذلك بعد وفاته رحمه الله تعالى سنة 2009م، بصفة الأستاذ محمد الشّريف بغامي أحد تلامذته ومقرّبيه والعاملين معه في المعهد الإسلامي بسيدي عقبة بقطاع الشؤون الدّينية والأوقاف.

- أشرف على تنظيم وتأطير يوم دراسي حول شخصية الشيخ (عمر دردور رحمه الله) بكلية العلوم الإسلامية بباتنة، يوم 15جوان 2009م، وكان ذلك بالتنسيق مع مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية باتنة ممثلة في مديرها آنذاك الأستاذ زهير بوذراع، بالتعاون مع أسرة الشيخ عمر دردور (رحمه الله)، وبعض الباحثين الأكاديميّين؛ منهم الدّكتور عبد الباسط دردور، وبعض الأساتذة الأجلاّء الذين اجتهدوا في استقدام بعض الباحثين الجزائريين، والمؤرخين منهم: شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله (رحمه الله)، والدكتور عمار طالبي، والدكتور عبد المجيد شيخي، وغيرهم... كلّ ذلك كان تحت رعاية السيد والي الولاية آنذاك الأستاذ عبد القادر بوعزقي، الذي تكفّل بضمان إيواء وإطعام الملتقين.

وخلال إدارة الأستاذ محمد الشريف بغامي لمعهد باتنة، كان يقوم بالإشراف الدّوري على طلبة المعهد الوطني للتكوين المتخصص بزانة البيضاء بباتنة بمسجده التّطبيقي (عبد الحميد بن باديس)، وذلك بإلقاء الدروس اليومية عليهم وبتوجيههم وتكوينهم في دورات تدريبية تكوينية وعلمية ممنهجة ومركّزة على كيفية تقديم الدروس اليومية والخطب الجمعية، وتقديم كلّ ما يخص الطالب الإمام المتكوّن وما يحتاج إليه في مهمَّته الرسالية.

4 - شهادتي حول الشّيخ:

منهجي في هذه الشّهادة حول الأستاذ محمد الشّريف بغامي، بعد صحبة سبع سنوات، هو ذكر المحاسن واجتناب المآخذ، إذ لا يَخلُو بشر من نقائص، والكمال لله تعالى، والعصمة لله عزّوجلّ ولرسوله ﷺ.

الأستاذ محمد الشّريف بغّامي رمز الجدّ والاجتهاد والتضحية والتفاني والإخلاص والإتقان والانضباط، يضحّي بأهله وأولاده وصحّته من أجل أداء التزاماته الإداريّة وواجباته الوظيفيّة، يتميّز تسييره الإداريّ بالدّقّة والتّدقيق وبالحكمة والتّأنّي وعدم العجلة والتّسرّع، ينشد الكمال في أعماله إلى حدّ المثاليّة.

عُرِف الشّيخ بالصّرامة والحزم مع موظّفيه، لا يُحابي أحدا، متسامح مع الجادّين، يحظى بهيبة واحترام كبيرَيْن بين طلبة وأساتذة المعهد وبين معارفه وأقرانه وأصحابه ومقرّبيه...

خطيب مفوّه متمكّن ومتمرّس، حاضِرُ البديهة، مرتجل كُفْء، ذو صوت جَهوريٍّ، يُجَيِّشُ العواطف، ويضفي الحيويّة والحماسة بخِطاباته القويّة في المجالس والمحافل، يمتلك لسانا طلقا ولغة فصيحة، يأسر قلوبَ مستمعيه بالمداخلات والتعقيبات المفيدة في كلّ مناسبة دينيّة أو وطنيّة، رسميّة أو عاديّة، ويبهرهم بقوّة طروحاته وحسن منهجيّته، لا تَخلُو مداخلاته من الاستدلال والشواهد المنَاسِبَةِ الشيّقة، يحفظ الشّعر ويتذوّقه ويحسن إلقاءه، يحبّ اللغة العربية الفصحى ويتفنن في الحديث بها، ملمّ بالتّاريخ الوطني، واسع الاطّلاع على الثقافة الجزائريّة، مواظب على إحياء المناسبات الدينيّة والوطنية وإثرائها وإنجاحها، يحبّ الانتصار والتّفوّق والنّجاح والتّألّق والتّميّز..

إيجابي لا يعرف السلبية، يتمتع بشجاعة أدبية وجرأة قويّة، مقدام على القيام بما يعتقده صوابا وحقّا، لا يخاف في الله لومة لائم، يحترم آراء الغير ويقدّرها، ويمضي في تنفيذ قناعاته مهما كان انتقاد النّاقدين وتثبيط المثبّطين.

يجتهد الشيخ محمد الشريف بغامي في أن يتمثّل هديَ النبي ﷺ في الاهتمام بمظهره وشكله، فتجده دائما نظيفا متأنّقا في لباسه، يتخيَّر أجمله وأحسنه وأرقاه، عاملا بقوله ﷺ: "إنّ الله جميل يُحبّ الجمال" [أخرجه مسلم في صحيحه]، وقوله ﷺ: "إن الله يحبُّ أن تُرَى نعمَتُهُ على عبده" [أخرجه أحمد في مسنده]، وهو الشيخ الوقور الهادئ الرزين، يحمل بين جنباته روح الشّباب الحيويّ الذي يتّقد نشاطا وعنفوانا..

كان هَمُّهُ الأكبر أن يرى طلبته من خريجي المعهد قدوة في الخير، ونماذج في الأخلاق الفاضلة، والتميّز في العلم وفي أداء مهامهم المسجدية.

يفتخر ويتباهى بأساتذته الأَكْفاء وطلبة معهده النّجباء، أمله فيهم أن يكونوا أمناء في بيوت الله جاعلين منها ثغورا يرابطون من خلالها في سبيل إعلاء كلمة الله، وتنوير الأمّة بنشر تعاليم الشّريعة الإسلاميّة السّمحة، ونشر العلم النافع، بُغْيَتُهُ منهم أن يعملوا جاهدين في الحفاظ على الوطن ووحدته من خلال التّمسّك بالمرجعية الفقهية والوطنيّة للدّولة الجزائريّة.

حريص كلّ الحرص على أداء مسؤولياته التي كُلِّفَ بها، وتبليغ الأمانة التي تَحَمّلها في سبيل الله والوطن، فتجده وهو يشرف على طلبته بالمعهد يتفقّدهم في مراقدهم وفي أقسامهم وفي المطعم وهم يتناولون وَجَبَاتِهِم، وأحيانا يجلس إليهم ويأكل معهم ويخدمهم بنفسه، ويسأل عنهم وعن أسمائهم وعن الجهات التي قدموا منها، ويحتكّ بهم ليطّلع عن كثب على اهتماماتهم وانشغالاتهم وهمومهم، حباه الله بذاكرة قويّة حتّى أنّه لا ينسى أسماءهم ودقائق حياتهم.

حريصٌ على الاهتمام بنظافة أبدانهم ولباسهم، والاجتهاد في ارتداء الجميل والجديد منها، والظهور بمظهر الإمام النّموذج، كما يقوم بمراقبتهم وتتبّع مدى التزامهم ومواظبتهم على الصلوات، بل ويوقظهم بنفسه لأداء صلاة الصبح في وقتها..

يقوم بشكل دوريّ بمتابعة وزيارة أساتذة المعهد قبيل وبعد دخولهم إلى الأقسام حرصا منه على الانضباط في الحضور وعدم التّأخّر والتزام هندام

الأستاذ المعلّم، كما يقوم بدوريات منتظمة ومفاجئة يتفقّد من خلالها العمال المهنيين والإداريين، وحتّى الحراس حيث يقوم بدوريات ليلية مفاجئة يقوم من خلالها بمراقبتهم حتّى لا يقصّروا في أداء مهامّهم، وفي المقابل يجلس إلى عماله وموظفيه ويستمع إلى مشاكلهم وهمومهم، ويتبادل معهم أطراف الحديث باعتباره موظفا مثلهم.

رَوَى مرّة لطلبته بمسجد معهد زانة أولاد سباع بباتنة في إحدى حِلق العلم، بعدما أنهوا قراءة الحزب الراتب قُبَيل صلاة العشاء، وفي معرِض حثّهم على الصبر والتحمّل لبرد الشتاء القارص، أنّه لمّا كان مديرا في معهد سيدي عبد الرحمن اليلولي بتيزي وزو، وفي أحد ليالي شتاء 1991م، جاءت عاصفة ثلجية كبيرة، وبينما هو يتفقّد حراس المعهد وجد حارسا مهموما يفكّر في أهله الذين يَبْعُدُونَ عن المعهد مسافة ستين كيلومترا (60) كلم، فاستأذن الحارسُ الشَّيخَ في يومين أو ثلاثةِ أيّام ليتفقّد أهله ويلبي حاجياتهم، فقال له الشيخ محمد الشّريف بغامي: "لا بأس ولكن علينا أن نجد مَنْ يستخلفُك في الحراسة"، فلم يجد له بديلا، فاقترح الحارسُ على الشّيخِ أن يخلفه في الحراسة، فما كان منه إلاّ أن قبل الشّيخ وقدّم له هذه الخدمة وقام بالحراسة بدلا عنه، فهذا وإن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مدى تفهّمه وتضحيته في سبيل خدمة موظّفيه وإخوانه، وأيضا على مدى تحلّيه بالأخلاق الفاضلة التي كان يتمثّلها؛ من عطف ورحمة وشفقة وتواضع وغيرها..

الأستاذ محمد الشّريف بغّامي اجتماعي بامتياز متفتح على شرائح المجتمع خصوصا المثقّفين والمجاهدين منهم، له شبكة علاقات واسعة، يلبّي الدّعوات ولا يقصّر فيها من غير تمييز بين النّاس، يشاركهم أفراحهم بتقديم التّهاني والتّبريكات، وله أيضا حضور دائم مع إخوانه في مجالس العزاء لمواساة المكروبين والمحزونين.

يَهَشُّ ويَبَشُّ في وجوه النّاس، يتفقّد أحوالهم ويسأل عنهم وعن ذويهم، متواضع كريم ومضياف، إلى درجة أنّه إذا زاره ضيف كائنا من كان؛ تلميذ أو طالب أو إمام أو أستاذ أو شيخ.. يترك مكتبه وأشغاله ليهتمّ بضيفه يَخدُمُه ويُكرِمُه، ثمّ لا يدعه يغادر المعهد حتّى يطوفَ به بين أرجائه، معرّفا إيّاه

بالمعهد، وهو يحضّ ضَيفَهُ أحيانا بالتّلميح وغالبا بالتّصريح - خصوصا إذا كان من الميسورين - ليساهم بما يستطيع من مساعداتٍ، خدمةً للعلمِ وطلبةِ العلم[1].

☆☆☆☆☆☆

[1] كتبت هذه السيرة للشيخ رحمه الله في حياته، في شتاء 2017م، وقرأتها عليه في غرفتي بالمعهد، وقد أجازها كما هي. الجزئية الوحيدة التي أضفتها هي تاريخ وفاته، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

كُنْتَ.. وكان الأوراس:
الأستاذ العلامة محمد الشريف بغامي... وداعًا

بقلم: الأستاذ أحمد بن السائح

إطار سابق في المركز الثقافي الإسلامي ببسكرة

صعب على اليراع مجاراة ما يفيض به الوجدان من أَلَمٍ وحسرةٍ وأسى.. وصعبٌ على النفس أن تتمكَّنَ من ترويض اليراع أن يَخُطَّ عبارةَ نَعْيٍ أو فَقْدٍ أو رحيلٍ أو وداعٍ.. ما أقساها من ألفاظٍ في حَقِّ صديق كُنَّا عرفناه على مدى أكثر من أربعين سنة.. وصعبٌ على اليراع ـ أيضًا ـ تحبير قولة: (وَدَاعًا).. وصعبٌ أن نتلقَّى نعيه، بَلْهَ نكتبه أو نحاول تدوينه لأن الصداقة لا تموت، ولا يطالها الفناء، ولا تنقطع بذهاب أصحابها، بل يبقى ألقها مُتوهِّجًا قائمًا وممتدًّا في دواخل قومنا من قبل ومن بعد، ولا يموت عطر الصداقة بموتنا أو يذهب بذهابنا.

وعلى الرغم من ضعفنا، وهول الصدمة التي جاءتنا أخبارها الفاجعة تترى، تحمل في طياتها ذهاب صديق صدوق إلى دار البقاء، صديق من نوع آخر، ومن طراز آخر، ومن معدن مغاير لصداقات كُنَّا قرأْنا عنها أو ألفناها وعرفناها... صديق متمايز بفرادته وما فيها من تجليات تتسم بالعلم الغزير والحافظة الواسعة التي كانت محلا لشتات زاخر بالمعارف والقضايا الفكرية المتنوعة الموزعة على اختصاصات واهتمامات مختلفة لا تتزاحم إلا في ذهن قامة فذة بوزن الأستاذ العلامة محمد الشريف بغامي كبير كبراء المثقفين في الأوراس على الإطلاق، وأحد رموزه في مجال الذاكرة وما يتعلقُ بشأن الهوّية الأوراسية التي ربما ستتلاشى بشكل رهيب بعد رحيله وذهابه إلى عالم الحق.

كان لقائي الأول بالأستاذ محمد الشريف بغامي ـ عليه شآبيب الرحمة والغفران ـ في شهر أكتوبر من عام: (1978 مِ ـ 1979 مِ / 1398 هـ ـ 1399 هِـ) المتزامن مع افتتاح السنة الجامعية بالمركز الجامعي بِـ: باتنة، وكنتُ يومها من طلبة الحقوق الذين سيستقبلون سنتهم الثانية، أما فقيدنا الأستاذ محمد الشريف عليه رحمة الله، فقد كان من الطلبة الجدد الذين سيستقبلون سنتهم الأولى، وكان مسجلا في معهد الآداب (هكذا كنتُ أعتقد)، والواقع أنه لَمْ يكن مسجلا في معهد الآداب، بل حبه للعلم وشغفه بالدراسة الجامعية دفعاه إلى المواظبة والانتظام

في معهد الآداب بشكل يومي ولافت، وهو لَمْ يتحصَّلْ على شهادة البكالوريا بعد !!! وفي تلك الأيام من افتتاح السنة الجامعية تعرفتُ على الطالب محمد الشريف بغامي الذي كان هادئًا بصمته وتأملاته وصامتًا بهدوئه ومعاملاته، وكان مَرِحًا إلى حَدٍّ ما واجتماعيًا إلى أبعد مدى، فضلا عن حراكه اللافت وشبكة علاقاته الواسعة التي كُنْتُ أُتابعها وأُلاحظها عبر كل مناشطه حتى كدت أَسْتَيْقِنُ أن هذا الرجل ـ محمد الشريف ـ يعرف الجميع، وكل الناس تعرفه، وله صلات عجيبة بطلبة دفعته وبطلبة دفعتنا، ولا يقتصر تواصله واتصالاته على الطلبة القدامى والجدد، بل كانت له ارتباطات ووشائج مودة ومعاملات خاصة مع إدارة الخدمات الجامعية في المنطقة الصناعية بِـ: (اكشيدة) فضلا عن علاقته مع عمال الحي (19 ماي 1956 ـ الديز ناف ـ)، أَوْ صِلته التي تمتدُّ حتى إلى مستخدمي المطعم الجامعي في حي بوعقال !!! وكانت له شبكة معقدة من المعارف والاتصالات مع أهل باتنة وتجارها وأطبائها وبعض مؤسساتها التربوية وغيرها من المرافق العامة الأخرى التي تُقَدِّمُ خدمات منتظمة للمواطن وتحرص على تلبية حاجياته اليومية. واللافت للانتباه أن تلك الشبكة الاجتماعية الواسعة التي كان يتعامل معها صديقنا الراحل الأستاذ محمد الشريف بلباقته المعهودة ورجاحة عقله المتوازن الذي يفوق عمره الزمني بسنوات عديدة، وقد كان شابًّا ـ في بداية عقده الثاني ـ يُتَابِعُ بطيبته وأخلاقه اهتمامات تلك الفئة الطاعنة في السِّنِّ من المجاهدين وأهل العلم، ويتقرب منهم ويسأل عن أحوالهم ويتفقد شؤونهم، ويعنيه ماضيهم النضالي ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي، وكل ما حققوه قبل وأثناء وبعد الثورة التحريرية المظفرة، وهو بالإضافة إلى ذلك يهتم بقضاياهم واحتياجاتهم، ويَسْتَفِيدُ من حكمتهم ومعارفهم وتجاربهم المختلفة أُلُو الألباب من أهل العلم والسياسة والاجتماع على حَدٍّ سواء، وسي محمد الشريف من أُولِي الألباب الراسخين في العلم والمعرفة، وليس من شكٍّ أن جِمَاعَ تلك المناقب جعلته محبوبًا ومُتَأَلِّقًا في أوساط الطلبة، بَلْهَ المجتمع المدني بكل أطيافه، وجعلت كل الناس تثق فيه، وتتعاون معه بإيجابية واحترام، وتُكِنُّ له كل الحب والوفاء والإخلاص.

وما سجلته ذاكرتي عن تلك المرحلة أن هذا الطالب العجيب الأطوار بأدبه الجم، وخُلُقِهِ الرفيع، واستقامته المتسقة مع صدقه، ومناقبه التي تعكس

حقيقة إخلاصه، ويتطابق فيها ظاهره مع باطنه، ولا تجد فيها منفذًا للتصنُّعِ والمراءاة أو الغرور والاستعلاء.

كانت بداية التعارف ومناسبته بيننا في الأيام الأولى من انطلاق الموسم الجامعي بعد العشرين من أكتوبر سنة 1978 مِ، وكان مكان ومحل التعارف في مسجد الحي الجامعي (19 ماي 1956) الذي كُنَّا نؤدِّي فيه صلاة الصبح بشكل منتظمٍ وبعض الصلوات الأخرى إنْ لَمْ تتقاطع مع المحاضرات والتطبيقات، وكان مسجد الحي تُؤَدَّى فيه الصلوات الخمس، لأن مواقيت دراسة الطلبة تختلف، حسب البرامج والأفواج ومواقيت الدراسة، وتواجد الطلبة في الحي لا ينقطع، ومن ثمة فمسجد الحي معمور على مدار الساعة بالطلبة الذين يتزامن فراغ بعضهم مع ميقات الصلاة و يَؤُمُّ بعضهم بعضًا، بمعنى أن أحد الحاضرين من الطلبة يؤمُّ زملاءه، وليس هناك إمام ثابت يضطلع بأداء مهمة الإمامة في كل الصلوات، باستثناء صلاة الصبح وصلاة العشاء وصلاة الجمعة التي كان يؤدِّيها إمامنا وصديقنا الفاضل البروفيسور ـ حاليًا ـ محمد زرمان أو صديقنا الآخر الأستاذ الدكتور محمد العيد زيارة أحيانًا. وعلى ذكر الأستاذ الدكتور محمد زرمان نسجل للتاريخ أنه أول من سعى لتأسيس مسجد الحي (19 ماي 1956) ـ المدرسة القرآنية حاليًا ـ ولَمْ يسبقه إلى ذلك سابق، وبذل جهودًا شاقة ومشهودة على حساب وقته ودراسته وراحته، وآتت جهوده أكلها بعد متابعة مخلصة وعناء تَطَلَّبَ إرادة صلبة لَمْ ينهض بها ـ في تلك الأيام ـ سوى الطالب المتميِّزِ بصدقه وعناده وتضحياته المتواصلة محمد زرمان الذي كان لا يكل ولا يمل، وكان أَشْبَهُ حَالًا في هذا الجانب بما كان يقوم به فقيدنا الراحل المثقف الأستاذ محمد الشريف بغامي في مناحي أخرى من مناحي الحياة المعقدة، وكلاهما فُطِرَ على المعاناة ومواجهة القسوة والشدائد، وكان مسجد الحي الجامعي يومها عبارة عن غرفتين أزيل الجدار الذي كان يفصل بينهما لِتَتِمَّ توسعة المسجد، وكان ذلك في أول موسم جامعي سنة: 1977 مِ - 1978 مِ.

وقصة فتح مسجد الحي لَمْ تكن من السهولة بمكان، بل كانت بعد مخاض عسير ومحاولات متكررة، ولَمْ تكن الموافقة على فتح مسجد في ذلك العهد بالأمر اليسير، أو تَتِمُّ ببساطة بعد مقابلة مسؤول وإقناعه بجدوى المشروع وما فيه من ضمانات وخير عميم، بل كان التوجه السياسي العام في تلك الأيام يتوجَّسُ خيفة من كل صغيرة وكبيرة، ولا ثقة على الإطلاق في

صلاة يزاولها الشباب أو الطلبة الجامعيين، وكان ذلك يُعْتَبَرُ نشاطا سياسيا على عهد الحزب الواحد !!!

من داخل هذا المسجد وقع التعارف بيني وبين الشاب محمد الشريف بغامي، وراحت علاقتنا تتسع وتتنامي خارج المسجد، وتزداد رسوخًا ومودة مع الأيام، وكان لاهتماماتنا المشتركة دورها في نسج وشائج صداقتنا، ولعل الذي قَرَّبَ بيننا أكثر هو القرآن الكريم الذي كُنَّا نستشهد به في حواراتنا، فاكتشف كل مِنَّا أن صاحبه على صلة جيِّدةٍ مع الكتاب العزيز، فضلا عن قراءاتنا المتنوعة والمتشابهة التي كان أغلبها يدور حول الثقافة الإسلامية في تلك المرحلة، بالإضافة إلى الكتب التي كُنَّا نقتنيها من مكتباتٍ ثلاثٍ كُنَّا نتردَّدُ عليها وهي: مكتبة (قرفي) بوسط مدينة باتنة ومكتبة (الممرات) المتواجدة بعمارة بوسط المدينة ـ أيضا ـ وهي تابعة لمؤسسة النشر والتوزيع " SNED " ـ سابقًا ـ ومكتبة (بوعقال) التي كانت قريبة من المطعم الجامعي بحي (بوعقال) الشهير. وفي ذلك العهد البعيد ـ أي الموسم الجامعي 1978 / 1979 انضمَّ إلينا الصديق الشاعر عز الدين ميهوبي الذي سجل بمعهد الآداب، وهي نفس السنة التي انتسب فيها فقيدنا الراحل محمد الشريف إلى جامعة باتنة، وكان عز الدين شاعرًا مبدعا، وبدأ نتاجه يظهر منشورًا وموزَّعًا على أكثر من جريدة، بل نشر من بواكير شعره في تلك الفترة قصيدة بعنوان: ((ثورة إيران الشعبية)) بمناسبة الثورة الإيرانية الزاحفة في جريدة النصر بتاريخ: 22 جمادى الأولى عام 1400 هِـ / 8 أفريل 1980 مِ، صفحة 11، بالعدد: 2586، ثم نشرها في مجلة: ((الشهيد)) الإيرانية بعنوان: ((وانهار الإيوان)) بتاريخ: 15 رجب عام 1401 هِـ / 20 ماي 1981 مِ، صفحة 57، بالعدد: 62، وكان لتلك القصيدة المدوية صدى واسعًا عَمَّ كل الآفاق وتسامعت به كل الأوساط الأدبية والعلمية والثقافية والسياسية في الداخل والخارج، بعد نشرها في مجلة: ((الشهيد)) الإيرانية.

وفي تلك الفترة كُنَّا مجموعة من الطلبة تحرص بشكل لافت على متابعة الأخبار الثقافية، وكانت لنا قراءات متواصلة لا تنقطع، وأذكر من تلك المجموعة الفنان أحمد بوخطة وموسى رزيق وعز الدين ميهوبي ومحمد الشريف بغامي وكمال عجالي وأحمد بن السائح، أما زميلنا محمد زرمان فقد كان شعلة من نوع آخر، وراح بطريقته المثمرة ونشاطه الدائب يؤسس مكتبة مسجد الحي، وهو في ذلك كالنحلة الموحى إليها تقف على أندر وأغذى الزهور،

وتراه يذرع باتنة طولا وعرضا يتفقَّدُ مكتباتها ليضيف الجديد النافع لمكتبة مسجد الحي، وكانت جهود الطالب محمد زرمان تساوي جهود الطلبة جميعا، وقد استطاع ـ في تلك الأثناء غير المأمونة ـ أن يجلب لمسجد الحي ألمع وأكفأ الأساتذة من جامعتي الجزائر و قسنطينة لإلقاء محاضرات على الطلبة في الحي الجامعي 19 ماي 1956، وأذكر من بين الأساتذة الذين تداولوا على تنشيط تلك المحاضرات القيمة العلامة الأستاذ الدكتور أحمد بسَّام ساعي العَالِمِ الجليل والمُنَظِّرِ الحكيم السوري المنفي الغريب عن الديار، وقد كان المركز الجامعي بباتنة ـ يومذاك ـ مُخَصِّصًا سيارة أجرة لهذا البروفيسور الفذ لنقله من قسنطينة إلى باتنة ومن هذه الأخيرة إلى قسنطينة لِيُحَاضِرَ في مدرجات معهد الآداب بالمركز الجامعي بباتنة، وتمكَّنَ الزميل محمد زرمان بطرائقه الفنية في المعاملة من إقناع الأستاذ الدكتور أحمد بسَّام ساعي، واتفق معه على تقديم محاضرات والتعاون مع مسجد الحي، وكانت محاضرة العلامة بسَّام ساعي من أبدع ما سمعنا حيث تعرَّض إلى غربة الإسلام، وتحدَّثَ عن صولة التيارات الفكرية، وغطرسة تلك المذاهب الملحدة ومواقفها من المسلمين، كما التفت إلى حديث الشجون الذي كان مدخلا حزينا للتطرق لمحنته ومأساته، وإرغامه على الخروج من سوريا سنة: 1960. ومن الأساتذة الذين جلبهم محمد زرمان من قسنطينة إلى مسجد الحي المفكر الموسوعي العلامة الأستاذ الدكتور الطيِّب برغوث الذي حاضرنا في العديد من المرات، و لَمْ يبخل بجهده ووقته على مسجد الحي، ومن الأساتذة الذين أتى بهم محمد زرمان من جامعة الجزائر الأستاذ الدكتور عباسي مدني الذي حاضر في مسجد الحي وحاضر في الجامعة التي دعته بدورها، وبُرمجت محاضرته في مقرِّ المستشفى القديم، واشتهرت محاضرته يومها بين الطلبة والطالبات والأساتذة وكل من استمع إليها باسم القاعة التي أُلْقِيَتْ فيها: ((محاضرة: La Salle 35))، وبعد: قد يقول قائل لِمَ كل هذه الذكريات ؟ !!! ونقول: أَنَّنَا استعرضنا تلك الذكريات البعيدة لأنَّ لها صلة بفقيدنا سي محمد الشريف بغامي ـ عليه سحائب الرحمة والغفران ـ فقد كان شاهدًا عليها، وعاش كل تفاصيلها، بل كان من صانعيها ومن جنود خفائها إلى جانب محمد زرمان وبعض صحبه، وكان فقيدنا الراحل سي محمد الشريف من النخبة الفاعلة التي كانت وراء إنجاح تلك المناشط الثقافية التي كَوَّنَتْ جيلا

ذهبيا من الطلبة الذين آلت إليهم مسؤولية الْعِلْمِ ومقاليد البحث، وكان منهم الكتبة والنخبة الْعَالِمَةِ التي شَرَّفَت الجزائر في جامعات الداخل والخارج.

***

من داخل الحي الجامعي... وفي رحاب المركز الجامعي، ومن بين جنبات تلك الأوساط العلمية الزاخرة بالعلم والمعرفة تَعَرَّفْتُ وصَادَقْتُ وصَاحَبْتُ الأستاذ محمد الشريف بغامي، واستمرَّتْ علاقتنا ينمو ويتصاعد خطها البياني على مدى واحد وأربعين سنة، وكُنْتُ أَشْعُرُ وكان هو أيضًا يَشْعُرُ أَنَّ المشترك الثقافي العام بيننا كلما تقادم ازداد أصالة وازداد استمساكًا بتاريخ صداقتنا النادرة وما يطبعها من وضاءٍ وإشراقٍ، أَكْتُبُ الآن هذا الكلام لأنَّ صديقي البروفيسور مسعود فلوسي ـ وَفَّقَ الله مسعاهُ وحقق مُناهُ ـ طلَبَ مني الكتابة عن أخينا بغامي كما عرفته، وحَرَّضَنِي الدكتور فلوسي على تسجيل معالم وتفاصيل تلك الصداقة، والبروفيسور فلوسي مولع بالماضي ومُهتمٌ مثلي بغابر الذكريات، وقد استجبت في جزء ضئيل من هذه الكلمة لرغبته، وتَعَمَّدْتُ تَأْجيل الباقي إلى وَقْتٍ لاحق إنْ كان في العمر مُتَّسَعٌ قبل الأجل المحتوم.

بغامي المثقف:

وأعود الآن إلى الحديث عن بغامي المثقف الذي اهتم بجملة من مكونات ومشتقات الثقافة، وتخَيَّرَ أدواته المناسبة، وأَلْزَمَ نفسه بخوض غمار الْعِرَاكِ الثقافي، وتَسَلَّحَ بلسان العلم والدليل، وتَزَوَّدَ بذخيرةٍ لائقة من الحجج و الدفوع، فضلا عن النظريات التي تموج بها الميادين الثقافية وحلبات الصراع الْمُبْتَدَعَةِ باسم الفكر !!! والواقع أَنَّ المسألة وما فيها تحتاج إلى القراءات الجادة وتنويع الإطلاع، والصبر و المصابرة على قراءة المعاناة، والرهان على الإحاطة الشاملة بشتى المواضيع التي يُمكِنُ أن تكون محل أي نقاش، وبقدر رسوخ القدم في الاطلاع والازدراد من معين الحقائق العلمية يكون الفوز والظفر على الأدعياء في المجال الثقافي، والمفسدين في ساحات الْهَدْمِ العلمي.

ومن ذلك المنطلق الذي يَتَطَلَّبُ ما أسلفناه، كان فقيدنا الأستاذ بغامي من فرسان المبارزة الثقافية التي تَمَرَّسَ فيها دَهْرًا طويلا، وأحاط بكل ملابساتها وتَفَهَّمَ دخائلها وما تنطوي عليه من خصائص وأسرار. وبحكم التجربة التي خاضها بحضوره اللافت في شتى الملتقيات والأيام الدراسية التي تَعْقَدُ على مدار العام، وكان المرحوم الأستاذ محمد الشريف يُشارك فيها ويَتَنَقَّلُ إليها اكتشفنا

أَنَّ الأستاذ بغامي كان مُثَقَّفًا من طرازٍ عَالٍ، فهو مُؤَرِّخٌ وأديبٌ وخطيبٌ مُسْتَكْمَلُ الأدواتِ، (لا يُشَقُّ له غُبار) ـ كما يُقال ـ، وهو من حَفَظَةِ الذاكرةِ.. ذاكرة الوطنية والشهداء والمجاهدين الذين كان يُكِنُّ لهم كل المَوَدَّةِ والتقدير في خُطبهِ ومداخلاته، ومصطبات المحافل التي تعني بالتراث والتاريخ والذاكرة شاهدة على صدق عزمه، وعلى ما سَجَّلَهُ من مواقف وتصحيح لمسارات الحقيقة التاريخية، وستبقى مداخلاته نابضة، فيها صوت التاريخ، وفيها الوفاء للذين هم: (**... أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**)، وكل ذلك يُذْكَرُ على الدهر فَيُشْكَرُ في صحائف فقيدنا الراحل الأستاذ محمد الشريف بغامي.

وهو بالإضافة إلى ذلك كان خبيرًا بمواقع البيان، وعليمًا بأسرار الفصحى ولا يُسابقه في ذلك سابق، وكان يكتنِزُ من جواهر اللغة نفائسها النادرة، وكان في كل معاملاته يستعمل الفصحى، ولا يستعمل الدارجة إلا نادرًا، واستغراقه المستديم في استعمالاته للفصحى قد شغفه حُبًّا إلى درجة الافتتان، وبهذا الاختيار الموفق الذي فَضَّلَ فيه الفصحى على سواها، ومنحها الأولوية في نشاطاته المختلفة ـ الرسمية والتطوعية ـ وما أكثرها، تأَكَّدَ لدينا أَنَّ الأستاذ محمد الشريف عليه سحائب الرحمة والرضوان كان مُبَرْمِجًا لأعماله، وكان يسعى إلى تعميم ونشر الفصحى، ويعمل على إشاعتها وإذاعتها على نطاقٍ وسيعٍ، وقد أَفْلَحَ إلى حَدٍّ بعيدٍ في هذا الاتجاه، وحقق نتائج مُرضية تستحِقُّ التأمُّلَ والدراسة والتنويه.

والملاحظ أن الخطابة أخذت حصة الأسد من مجمل مناشطه الثقافية، وهيمنت بسحرها وصفاء مَلَكَتِهَا على وجدانه وتفكيره وبرمجته لأعماله، وظلت الخطابة عنده ارتجالا لا تتقيد بالمكتوب، بعد امتلاكه لناصيتها، وراح الكلام البليغ يتدفق على لسانه نهرًا جاريًا لا يتوقف، وخطابته مَلَكَةٌ تسلبُ عقول السامعين وتشدُّ انتباه المُتابِعين.

وثقافة المرحوم الأستاذ محمد الشريف تستمِدُّ مَدَدَهَا من إدمانه على المطالعة الواسعة والصبر المرهق، والتهامه لكل ما يقع في يده، وكان تركيزه على الثقافة الإسلامية في مرحلة معينة لفهم الواقع الإسلامي، ومعرفة حقيقة ما يُراد بالإسلام، و كان ذلك ضرورة من ضرورات الوعي الكاشف عن أحقاد التيارات المعادية للمسلمين والمذاهب المتربصة بأية نهضة أَوْ صحوة إسلامية، ومن ثمة كان التركيز على الثقافة الإسلامية عند شباب جيل بغامي إستراتيجية

وحماية لديار الإسلام من أية غارة أخرى تستهدف حصونه وتستبيح ثرواته تكرارًا للتجربة الاستدمارية على مدى قرون البؤس والظلم والعدوان.. قرون إسقاط السيادة والقهر والمذلة.. قرون الاستسلام المطلق.. قرون فقدان الحرية وضياع بوصلة الإرادة.. قرون اليأس والقلق والخضوع للآخر.. قرون الشؤم والابتلاء التي هيمنت فيها الغارة الصليبية على دويلات الإسلام الممزقة على مدار القرون المجحفة: الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين.

وما دمنا نتحدث عن ثقافة فقيدنا نقف قليلا عند ظاهرة حمله لمحفظته في كل وقت وحين.. المحفظة التي لا تفارقه في ظعنه وإقامته، وهي محفظة ملازمة له ملازمة الروح للجسد، وربما لا يستطيع التنقل بدونها، ومحفظة صاحبنا فيها ملفات كثيرة، وفيها قضايا شتى، فيها الأدب وفيها الفكر وفيها التاريخ وفيها ملفات الإدارة وما يحكمها من قوانين ومراسيم وقرارات إدارية تتعلق بشؤون وخصائص الإدارة وما تقتضيه من ضوابط وقيود يتطلبها التسيير الصارم لطبيعة المرفق العام حتى يظل هذا الأخير يُقَدِّمُ خدماته العامة بانتظام و اضطراد.

وكان الأستاذ محمد الشريف بغامي بنضجه الباكر ووعيه المتقَدِّمِ على أقرانه و لَدَّاتِهِ، كان في تلك المرحلة الحساسة مدمنًا على كل ما تنتجه قرائح النخبة من رادة ودعاة الفكر الإسلامي كالأستاذ مالك بن نبي وشيخ الدعاة محمد الغزالي والشيخ يوسف القرضاوي والشيخ أبو الأعلى المودودي والشيخ سيد سابق والشيخ الشهيد سيد قطب والشيخ أبو الحسن الندوي وبقية أعلام ندوة العلماء بِـ: (لكهنو) بالديار الهندية وأعلام مدرسة المنار الإصلاحية وما تمثله من نهضة تجديدية وبدائل تغييرية، وعلى رأسهم السيد رشيد رضا والكاتب المتألق الذي جمع بين السياسة والدفاع عن قضايا المسلمين الشائكة الأمير شكيب أرسلان، فضلا عن إلمامه بتراث جمعية العلماء وما قدَّمته من حلول للأمة الجزائرية، وتحدِّيات للمحتفين بمائوية الاحتلال وفظائعه التي لا أول لها ولا آخر، وقد كان فقيدنا الأستاذ بغامي محظوظًا بلقاءاته المباشرة مع أهمِّ تلامذة شيخ جمعية العلماء ورائدها العلامة الأستاذ الإمام الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس، ونعني بِـ: أهمِّ تلامذة الشيخ الرئيس فضيلة العلامة الأستاذ المجاهد عمر دردور طيَّبَ الله ساحة ثراه.

مواجهات الأستاذ محمد الشريف بغامي للحداثيين والملحدين ومنهجه في متابعتهم والردِّ عليهم:

ظَلَّ فقيدنا الراحل محمد الشريف بغامي طوال حياته العلمية والنضالية حربًا على العلمانيين في مجال الاجتماع وقضايا الانثروبولوجيا، ومسائل التفسير المادي للتاريخ حسب المفاهيم الماركسية التي رَوَّجَ لها صنائعهم بنظريات متناقضة كـَ: (المادية التاريخية) و(الحتمية التاريخية) وغيرها من المصطلحات الفاسدة، كما كان سيفًا على الإلحاد والملحدين والحداثيين، وكهنة الأدب الماركسي الشيوعي، وكان الأستاذ محمد الشريف بغامي ثائرًا على كتاباتهم وسخَّرَ جهودًا مُضنيةٍ من وقته ومسؤولياته لفضح أدبهم و نتاجهم المأفون، وكان عليمًا بمواطن سرقاتهم، واختلاساتهم لإبداعات غيرهم، وكان يَتَتَبَّعُ سقطاتهم، ويُلاحِظُ على انتحالهم وسطوهم، ويَضَعُ يده على ما ليس لهم، وأعمال علامَتِنا الأستاذ بغامي واعتنائه بشؤون الأدب والإبداع، جعلته أديبًا فَذًّا يُحَلِّقُ في آفاق عالية، ويُجْمِعُ الذين حضروا مجالسه وتابعوا حواراته على أنه من أساطين الأدب المتميِّزِينَ في سماء الفكر والبلاغة بما يمتَلِكُهُ من أدوات النقاش العلمي المؤصَّلِ، وما له من قَدَمٍ راسخة في مفاهيم المُناظرة والنِّزال العلمي، إلى جانب امتلاكه لوسائل الحجاج والاحتجاج، وبراعته في عَرْضِ براهينه الساطعة وإبداء أدلته القاطعة.

ومن مناقبه في مجال المنازلة والتحدِّي، أنه كان يَتَقَدَّمُ لخصومه بوافر ما عنده من محفوظ عجيب، فضلا عن إحاطته الشاملة و اطلاعه الواسع، وكان يعرف ما عند الحداثيين، لأنه كان يقرأُ كتبهم المسطَّحة التي كان يشتريها ويدفعُ أثمانها الباهظة، ويُمضي الأوقات الطويلة في قراءتها، ليعلم ما في خباياها ومدى تفاهة عقول مؤلفيها، وكان يقرأها بدقة متناهية، وبعد استيعاب مضامينها المتناقضة وغير المتوازنة، يُسارع إلى نقض ما فيها من أباطيل، وإسقاط ما في توجهات مُنَظِّرِيها من أوهام ودسائس لا تتوافق مع حقائق العلم، وتَراهُ عاكفًا على تدوين ملاحظاته، وتسجيل ما يَعِنُّ له، ويقف عند كل القضايا الغريبة ويتفحَّص مدلولاتها، ويُنَبِّه على ما تنطوي عليه من كيدٍ وعِداءٍ، ويُتابِعُ بمراجعاته ما يبدو له من خزعبلات تُوضَعُ بمنهج مُخادعٍ في طوايا التفاصيل المطولة، ويُسهِبُ في تحليلها وتقليبها على كل الوجوه بطرائقه المعروفة أَوْ

يختصرها بإيجاز جاعلا منها رؤوس أقلام لتكون له بمثابة المنطلقات المثمرة لمباحث رصينة وأعمال مجدية.

أخلاق ومناقب:

وخلاصة القول للذي يُريد أن يعرف أكثر عن الأستاذ محمد الشريف بغامي، فقد كانت مناقبه كلها تدور حول محور الخُلُق الرفيع، وهذا مَكْمَنُ السر الذي يحتاج إلى التَّأمُّلِ وفهم أبعاد وخفايا حقيقة الإنسان، ومن ثمة كان الخُلُقُ الرفيع الذي كان في مقدمة كل المناقب هو مرآة الشخصية ومفتاح معالم النفس، وقد كان فقيدنا إلى جانب خُلقِهِ ظريفًا نابهًا مُتبَصِّرًا بواقعه، شاعِرًا بما يموج حوله، ومن زخم ذلك الواقع كان يعلم مكانته الاجتماعية، ومنزلته العلمية والثقافية التي اختارها الله له، ولا شك أنه رَدَّدَ بينه وبين نفسه قوله تعالى: **(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...)**، وكان شاكرًا لمولاه في كل وقت وحين، ذاكرًا لنعمته التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، يلهجُ لسانه بستر الله وفيض أفضاله، ودوام توفيقه وعطائه غير المجذوذ، ولعلَّ شوقي عنى أمثاله من ذوي المناقب السامية والأخلاق الراقية التي لا تشوبها شائبة:

وَكُـنْ فِـي الطَّرِيـقِ خَفِيـفَ الْخُطَـا * * * شَـرِيفَ السَّمَاعِ، كَـرِيمَ النَّظَـر

وَكُـــنْ رَجُــــلًا إِنْ أَتَـــوْا بَــــعْدَهُ * * * يَقُـــولُونَ مَــرَّ.. وهــذا الأثــر

نعم.. نحن في هذا الأثر العلمي العتيد، والصرح الفاره الذي لَمْ يكُ شيئًا مذكورًا قبل عشر سنوات، وبدأه صديقنا الراحل من الصفر، وخَطَّهُ على أحسنِ طرازٍ، ونهض به على الرغم من كثرة العوائق التي وقفت في سبيله، وتصدى لكل تلك المثبطات بإرادته، وجرَّد لها سيف العمل الخالص والمثابرة التي لا تعنيها سوى المتابعة الدقيقة والجهود الصارمة التي تسعى إلى تحقيق إقامة هذا الصرح الإسلامي الأصيل والمركب الثقافي الباعث على نهضة إسلامية ليس لها من غاية سوى تحصين الأجيال الصاعدة.

اقتراحات: لَدَيَّ أربعة اقتراحات:

الاقتراح الأول: تسمية الدفعة المتخرِّجة في جوان المقبل باسم الفقيد محمد الشريف بغامي.

الاقتراح الثاني: تسمية قاعة المحاضرات باسم الفقيد تقديرًا لدوره الرائد وعمله الدائب الذي لَمْ يتوقف إلا بالوفاة.

الاقتراح الثالث: تسمية مؤسسة من مؤسسات التكوين الديني باسمه.

الاقتراح الرابع: تسمية أحد المساجد في باتنة المدينة أَوْ في مسقط رأسه بِـ: إينوغيسن أو في بلدة زانة البيضاء (أولاد سباع) باسمه.

وأختم بقول الشاعر:

إنَّ الْفَجِيعَـةَ فِـي الرِّيَـاضِ نَوَاضِـرًا * * * غَيْرُ الْفَجِيعَةِ فِـي الرِّيَـاضِ ذَوَابِـلًا

رحم الله صديقنا وأستاذنا العلامة محمد الشريف بغامي وجعله مع: **(الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَـهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ).**

✯✯✯✯✯✯

الأستاذ محمد الشريف بغامي كما عرفتُه

بقلم: الشيخ جمال الدين ميهوبي

مدير سابق للشؤون الدينية والأوقاف في عدد من ولايات الوطن

أتشرف بتقديم هذه الكلمة المتواضعة حول شخصية الراحل محمد الشريف بغامي رحمه الله المولود في 1957 ببلدية إينوغيسن دائرة إشمول ولاية باتنة، والذي ينتمي الى قبيلة بني بوسليمان التي ضربت أروع الأمثلة في التضحية والفداء خلال الثورة التحريرية، ومن بين رجالها وأبنائها المخلصين الذين لبوا نداء الواجب الوطني: أحمد بن عبد الرزاق قائد الولاية السادسة، حسين برحايل، أحمد قادة، الصادق شبشوب (قوزير)، الطيب غقالي، الصادق بن بوكريشة، المسعود بن عيسى، محمد الشريف جار الله وغيرهم كثير.

ولذلك فإن الأستاذ بغامي الذي ينتمي إلى هذه القبيلة له مسيرة حافلة بالنشاطات المتعددة والإنجازات الهامة، كلها تتصل بخدمة الإسلام والأمة والوطن.

الأستاذ الراحل محمد الشريف بغامي موسوعة فكرية وثقافية وأدبية، يتميز بكثير من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة؛ وهو إلى جانب ذلك عرف بنشاطه الواسع وحيويته التي جعلته متواجدا في كل اللقاءات الفكرية والثقافية خصوصا إذا تعلق الأمر بالشخصيات العلمية التي لها صلة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث كتب وحاضر على علماء منطقة الاوراس أمثال: الشيخ محمد الدراجي ميهوبي، الشيخ عمر دردور، الشيخ محمد الأمير صالحي، الشيخ عيسى يحياوي، الشيخ محمد الغسيري، وغيرهم كثير.

ولم يتوقف عند هذا الحد، بل كان ينوي مواصلة نشاطه في هذا المجال حتى يستكمل جميع الأسماء الفاعلة في المنطقة، والتي كان لها دور في نشر الثقافة الإسلامية وبعث الروح الوطنية في نفوس شباب الأمة، حيث كان إعجابه بهذه الشخصيات إلى حد تمجيدهم في كل مناسبة دينية او وطنية، يذكر مناقبهم وأعمالهم وإسهاماتهم اللامحدودة في رفع المستوى العلمي والثقافي لدى هؤلاء الشباب ولكل من يطلب العلم والمعرفة.

الأستاذ محمد الشريف بغامي قضى زهرة شابه في خدمة المجتمع من خلال الدروس التي كان يلقيها في المساجد وعلى الطلبة بالمعاهد باعتباره كان

مديرا لمعاهد تكوين الأئمة في كل من تمنراست وسيدي عقبة وأخيرا زانة البيضاء بولاية باتنة، كما كان مكلفا بتكوين الأئمة أيام الندوات الشهرية بولاية خنشلة.

الأستاذ محمد الشريف بغامي الذي غيبه الموت وهو لازال في مرحلة العطاء بما وهبه الله له من علم نافع وذكاء حاد وشجاعة أدبية يشهد له بها الجميع.

الاستاذ بغامي رحمه الله سافرت معه أكثر من مرة إلى جهات متعددة من الوطن لإلقاء دروس وعظية في المساجد، فوجدته نعم الواعظ والمرشد، يعالج القضايا بحكمة وبأسلوب يجمع ولا يفرق، وأكثر من ذلك فإنه لا يتردد في تلبية الدعوة إذا وجهت اليه.

عاش اثنتين وستين (62) سنة، قضى معظمها في خدمة العلم والثقافة، ولو أطال الله في عمره لاستفادت منه الأمة أكثر، لكن هذه إرادة الله وقضاؤه ولا راد لقضاء الله.

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)، (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)، (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ).

ويقول الشاعر:

وما المال والبنون إلا ودائع * * * ولابد يوما أن ترد الودائع

ويقول المثل: "الموت باب وكل الناس عليه داخلون".

وفي الحقيقة إن الحديث عن الفقيد طويل وذو شجون، وأنا أقر بعجزي عن استيعاب مناقب الرجل وهي كثيرة جدا.

فالرجل قضى معظم حياته في رحاب المساجد ودور العلم والمعرفة دارسا ومدرسا، إلى جانب ذلك نذر نفسه لنشر القيم الأخلاقية في أوساط شباب الأمة، حيث كان هدفه الأسمى إعداد جيل متشبع بالروح الدينية والوطنية حتى يضطلع بمسؤوليته الكاملة في خدمة المجتمع وترقيته إلى حياة أفضل، مجتمع تسوده المحبة وروح الإخاء والتضامن، وكان هذا هو المأمول من نشاط الاستاذ بغامي منذ التحاقه بالوظيفة سواء في التعليم أو في قطاع الشؤون الدينية.

أكرر وأقول: محمد الشريف بغامي أسطورة وأعجوبة بأتم معنى الكلمة، ويتأكد ذلك من خلال جهوده المخلصة والمبذولة وعمله الدؤوب في تنظيم الندوات الفكرية والمشاركة فيها بمحاضرة أو مداخلة أو تعقيب، حرصا منه على أن تكون الفائدة أعم وأشمل.

وعليه؛ لا يمكن أن نختزل نشاطه في بضع سطور، بل لا تكفي حتى الصفحات إذا أردنا بحق أن نستوعب في هذه العجالة كل عمل كان يقوم به.

ونعود بالذاكرة إلى معرفتي به، تعرفت عليه في نهاية الثمانينات، عندما أشرفت على تنصيبه كمدير للمعهد الإسلامي سيدي عقبة خلفا للشيخ عمر دردور الذي أوكلت إليه مهمة الإشراف على مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية باتنة بعد وفاة الشيخ محمد الأمير صالحي رحمه الله. وكان محمد الشريف قبل ذلك مديرا لمعهد تمنراست.

عرفته كإطار كفؤ وملتزم حريص كل الحرص على أداء واجبه المنوط به كمسؤول تربوي وإداري في آن واحد.

محمد الشريف بغامي استفاد منه شخصيا طلاب المعهد الاسلامي ومن توجيهاته القيمة والتي تعود عليهم بالفائدة بعد التخرج، هذا رغم ما عرف عنه من التشدد وعدم التسامح مع الطلبة والأساتذة على السواء سعيا منه في تحقيق النتائج المطلوبة التي تفيد الإمام عندما يلتحق بعمله في المسجد.

أخيرا، وليس آخرا، أقول لكم وهذا شيء بديهي: إن موت العالم يعتبر سقوط ثلمة يتعذر سد فرجها، وبرحيل العالم تفقد الساحة الثقافية حيزا كبيرا من العلم والمعرفة ويتهاوى صرحها.

محمد الشريف رحمه الله يعد من هذا القبيل في ثقافته الواسعة ونشاطه المتواصل وحرصه على تحصين الشباب بالعلم الصحيح والقيم المثلى والأخلاق الفاضلة التي تسمو بالمجتمع إلى مستوى أفضل.

رحمه الله كان نموذجا في سلوكاته منذ صغره حسب شهادة من عايشوه وعرفوه عن قرب.

كان نعم المعلم ونعم المربي والموجه لفترة زمنية قبل الالتحاق بوزارة الشؤون الدينية.

قد يقول البعض: إن ما جاء في كلمتي فيه كثير من التمجيد لشخصية الراحل محمد الشريف بغامي، نعم: إنها الحقيقة، والحقيقة يجب أن تقال ولا ينبغي

أن نغمط الرجل حقه في الإشادة والتنويه وما عرف عنه من خصال حميدة ونشاط متواصل طيلة حياته.

وبعد، فقد اخترت أن تكون كلمتي مسجلة حتى أستعرض جميع الجوانب التي تتعلق بهذه الشخصية الثرية، الشخصية الفاضلة، الشخصية المحترمة التي أدت واجبها في هذه الدنيا.

وفي الختام نسأل الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة وأن يلهم ذويه جميل الصبر والسلوان وأن يتقبل أعماله التي قدمها في دنياه بمزيد من الأجر والثواب.

رحمه الله، رحمه الله، رحمه الله.



الأستاذ محمد الشريف رحمه الله مع الشيخ جمال الدين ميهوبي، في بيته ببسكرة يوم: 2 نوفمبر 2017



في ذكرى أخ حبيب وصديق عزيز..
الأستاذ محمد الشريف بغامي رحمه الله

بقلم: أ.د. مسعود بن موسى فلوسي
عميد كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1

لقد شاء الله عز وجل ولا راد لمشيئته؛ أن نفقد أخانا العزيز الأستاذ الشيخ محمد الشريف بغامي رحمه الله، بعد أن توثقت علاقتنا به أخوة وصداقة ومودة ومحبة وتعاونا على البر والتقوى، وقد آلمنا فقدُه وفراقه فبكيناه بالقلوب قبل العيون، ورثيناه بالمشاعر والأحاسيس قبل الكلمات والمقولات. وكيف لا نبكي رجلا كان ملء السمع والبصر عملا ونشاطا وإدارة وانضباطا في نفسه، وتنشيطا وتحفيزا وتوظيفا لغيره فيما هو مصلحة وفيما يحقق الفوائد الجمة التي تعود على البلاد والعباد.

متى عرفتُ الأستاذ بغامي؟

لم أكن من أتراب أخينا الشيخ محمد الشريف ولا من أهل بلدته حتى أعرفه منذ مرحلة مبكرة؛ فهو يكبرني بأكثر من سبع سنوات، كما أنه من بلدية إينوغيسن وأنا من غسيرة، ولذلك لم أعرفه إلا في مدينة باتنة، وكانت أول مرة رأيته فيها وسمعت منه حوالي سنة 1985م، كنت حينها طالبا في المرحلة الثانوية وكنت أتردد أحيانا على الحي الجامعي عمار عاشوري (1500 سرير)، حيث كانت تقام في مسجد الحي المحاضرات والندوات التي يتولى تأطيرها أساتذة يعالجون قضايا مختلفة في إطار الوعي الإسلامي والثقافة الإسلامية، ومن بين الندوات التي حضرُتها حينئذ ندوةٌ قدم فيها مؤطرها قراءة في كتاب: (ثغرة في الطريق المسدود.. دراسة في البعث الحضاري) لكل من الدكتور سيد دسوقي حسن المصري والدكتور محمود محمد سفر السعودي، وكان المؤطر هو الأستاذ محمد الشريف بغامي، وقد أعجبت أيما إعجاب بطريقته في عرض الكتاب وإسقاطه لمقولاته وأفكاره على الواقع الجزائري، ومما أذكره من كلامه في تلك الندوة قوله رحمه الله: "من المقولات الشائعة في مجتمعنا الجزائري: دير كيما يدير جارك ولاَّ بَدَّلْ باب دارك"، حيث فند هذه المقولة وبين خطأ مضمونها وعلق عليها بقوله: "أوَلَوْ كان جاري سكيرا أو عربيدا او فاسقا، أفأكون مثله وأعمل بعمله؟". ومما شدني إليه كذلك في تلك الندوة أنه

ظل يتكلم واقفا طيلة أزيد من ساعة، ولم يجلس على كرسي، وكان يتقد حماسا وتفاعلا مع موضوع ومضمون الكتاب.

كما حضرت في مناسبة أخرى ندوة في المركز الثقافي الإسلامي بمدينة باتنة، وربما كان ذلك في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، وأعتقد أنها كانت في أحد أيام شهر رمضان المبارك، حيث تناول فيها الكلمة وحلق بنا في آفاق رحبة من الفكر والأدب، وقرأ علينا من ذاكرته مقاطع من قصائد مختلفة لعدد من الشعراء منهم شاعر الثورة مفدي زكريا ووشاعر الأوراس حسين زيدان رحمهما الله.

وأذكر أنه في تلك المرحلة كذلك زار مدينة باتنة روائي جزائري معروف، جاء إليها مشاركا في ملتقى أدبي عُقد في دار الثقافة محمد العيد آل خليفة، وفي هذا الملتقى ألقى هذا الأديب محاضرة صال فيها وجال مُرَدِّدًا مقولات تافهة وأفكارا سخيفة مما يُسَوِّقُه أمثاله من دعاة الحداثة وعَرَّابي التحلل من القيم الحضارية للأمة الإسلامية، فلما أتمَّ محاضرته طلب الأستاذ بغامي الكلمة، وكان مما قاله في التعقيب عليها: "لقد استحدث الدكتور ..... مذهبا جديدا في الأدب لم يسبقه إليه أحد من الأولين ولا من الآخرين، وبلغ فيه غاية الإبداع والابتكار، أتعلمون أيها السادة ما الذي يمكن أن نسمي به هذا الأدب الجديد الذي جاء به دكتورنا؟.. إنه أدب المجاري والمراحيض".

وللأمانة فإني لم أكن حاضرا حينئذ، ولكن نقل لي ما حدث بعضُ الزملاء الذين حضروا وشَهِدُوا وسمعوا.

كيف توطدت علاقتي به؟

كان طبيعيا أن أتعرف إلى الأستاذ بغامي رحمه الله وأن تتوطد العلاقة بيننا بفعل التلاقي في المناسبات الفكرية المختلفة، وهنا أذكر أنه كان من بين الحاضرين عند مناقشة رسالتي في الماجستير يوم 15 جوان 1994، والتي جرت وقائعها في مسجد أول نوفمبر وكانت الأشغال ما تزال جارية فيه حينئذ.

وقد توطدت العلاقة بيني وبين الأستاذ أكثر فأكثر عندما فتحتُ مكتبة في نهج قرين بلقاسم بوسط مدينة باتنة في سبتمبر 1995، كان الأستاذ بغامي يمر بي إما صباحا عند ذهابه إلى عمله في مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية باتنة، أو مساء عند خروجه من العمل، فقد كانت المديرية في نفس الشارع ولم تكن تبعد عن المكتبة باكثر من مائة متر. وكنت أدعوه في كل مرة

إلى تناول الشاي في المحل القريب من المكتبة، أو أرسل من يأتيه بالشاي إلى المكتبة حيث كنا نجلس لنتبادل أطراف الحديث في مختلف الشؤون، وكنت أستمتع بما أسمعه منه من معلومات وما أستفيده من طرائف، وفي كثير من الأحيان كان ينضم إلينا بعض الأصدقاء من الأساتذة المثقفين، مثل الدكتور كمال عجالي أو الدكتور محمد زرمان أو غيرهما من الأساتذة.

وتحضرني هنا حادثة طريفة وقعت له في مكتبتي مع طالب من تشاد كان يُحَضِّرُ في كليتنا رسالة الماجستير في أصول الفقه، وكان كثير التردد على المكتبة، حيث تكفلنا بصف رسالته على الكومبيوتر، وكان يستشيرني في بعض المسائل المنهجية ويطلب مساعدتي له في التعبير عن بعض الأفكار أو المسائل بطريقة سليمة لأنه لم يكن يحسن العربية جيدا، وذات يوم دخل الأستاذ بغامي رحمه الله فوجده عندي فسألني عنه، فقلت: "إنه طالب تشادي يحضر رسالة الماجستير عندنا في الكلية"، فقال الأستاذ ببراءة: "التشاديون أنا أعرفهم، لقد كانوا في معهد سيدي عقبة حين كنت مديرا له، وتعاملت معهم كثيرا، وهم فيهم وعليهم"، أو كما قال رحمه الله. وهنا انتفض ذلك الطالب التشادي واشتبك مع الأستاذ وقال غاضبا: ما معنى فيهم وعليهم؟ هذه شتيمة وإهانة لا أقبلها ولا يمكن أن أسكت عنها. وعبثا حاول الأستاذ أن يُفهِمَه معنى كلامه، إلا أن أخانا لم يَرْضَ أن يفهم أو حتى أن يسمع، وبعد محاولات عدة أفهمتُه أن الشيخ لم يكن يقصد الإهانة وإنما أراد أن يقول إن الإخوة التشاديين فيهم أناس مثلك طيبون منضبطون مهتمون بالعلم ومتحلون بالأخلاق كما أن فيهم آخرين لم يكونوا كذلك، وهذا حال كل الناس، ونحن الجزائريين كذلك. فقبل مني هذا الكلام بصعوبة وسكت على مضض. وما زلت كلما ذكرت هذه الحادثة ضحكت كثيرا بيني وبين نفسي لغرابتها وطرافة ما وقع فيها.

بعد ذلك اضطُرِرْتُ إلى إغلاق تلك المكتبة، وكذلك انتقل هو إلى خنشلة، فقلَّتْ لقاءاتي به، حيث لم نكن نلتقي إلا لِمَامًا وكان ذلك يتم عادة في التظاهرات التي كانت تُقام في المناسبات المختلفة الدينية أو الوطنية.

دعوته لي إلى المعهد:

بعد أن تولى الأستاذ إدارة المعهد الوطني للتكوين المتخصص للأسلاك الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف بزانة، دعاني أكثر من مرة لإلقاء محاضرات على طلبة المعهد، وخاصة في شهر رمضان المبارك أو في

مناسبات أخرى، وقد استجبتُ لدعوته في بعض المرات واعتذرتُ في مرات أخرى لأسباب منعت من الاستجابة، وكان رحمه الله يتقبل اعتذاري. كما كان يدعوني رفقة كل من الأستاذ أحمد بن السائح والشيخ جمال الدين ميهوبي وغيرهما من الإخوة والأصدقاء لحضور احتفال المعهد بتخريج دفعة جديدة من طلبته في نهاية كل سنة دراسية.

ندوات جمعتنا:

إلى جانب ذلك؛ جمعتني بالأستاذ مناسبات مختلفة اشتركنا فيها في ندوات او ملتقيات عن بعض مشايخ الأوراس، منها الملتقى الذي جمعنا في إينوغيسن وتناول سير أعلام الحركة الإصلاحية في منطقة الأوراس، والندوة التي جمعتنا في المدرسة القرآنية لمسجد أول نوفمبر، وتلك التي جمعتنا في المركز الثقافي لمدينة تازولت في ذكرى وفاة الشيخ دردور رحمه الله.

وآخر ندوة كان يُرجى أن يشارك فيها تلك التي عُقدت لإحياء الذكرى العاشرة لوفاة الشيخ عمر دردور رحمه الله في المركز الثقافي الإسلامي بباتنة، حيث تعذر حضوره بسبب دخوله المستشفى، وقد زرته رفقة كل من الشيخ جمال الدين ميهوبي والأستاذ أحمد بن السائح على إثر الانتهاء منها وأخبرناه بما جرى خلالها من مداخلات فكان فرحه كبيرا بذلك رحمه الله.

مرضه ووفاته:

لم أعلم بمرض أخينا سي محمد الشريف إلا بعد إبلاله المؤقت منه، حيث دعاني باعتباري عضوا في مجلس إدارة المعهد لكوني عميدا لكلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1، لحضور اجتماع مجلس الإدارة الأخير في حياته رفقة الأخ الفاضل الأستاذ مداني بوستة مدير الشؤون الدينية والأوقاف وأعضاء آخرين، ولاحظت أنه رغم تجلده وتصبره ومحاولته الظهور بمظهر الصحيح المُعافى، إلا أن علامات المرض والإرهاق والضعف كانت بادية عليه، وقد لاحظت أثناء تناولنا طعام الغداء تظاهره بالأكل حتى لا يُحرجنا لكنه في الحقيقة ما أكل إلا القليل جدا من الطعام.

لم يطل الأمر بعد ذلك حتى علمنا أن الرجل عاوده المرض ودخل المستشفى الجامعي بمدينة باتنة، فعُدناه مرارا طيلة المدة التي مكثها فيه، وقد لاحظت أنه كان يتشبث بكل من يزوره ويحرص على أن يحتفظ بيد زائره في يده ويسأله عن كل كبيرة وصغيرة مما يعرفه عنه، وهو ما حدث لي معه أكثر

من مرة، وكأن الرجل استشعر قرب أجله فكان يحرص على أن يُشبع روحه من أحبابه قبل فراقهم والرحيل عنهم. وأذكر أن عشرات إن لم أقل مئات من الإخوة والأصدقاء والزملاء الذين عرفوه في مختلف أطوار حياته زاروه وكرروا له الزيارة، وكلهم كان يتمنى له الشفاء والبُرْءَ من مرضه واستعادة نشاطه وحيويته التي عُرف بها، إلا أن ما كان يحدث هو تدهور صحته يوما بعد يوم، وهو ما كان يؤلم كل من يراه من عائديه الذين ظهر حبهم له وتألمهم لما كان يعانيه، وقد اقترح البعض إخراجه من المستشفى وإرساله إلى مصحة استشفائية أكثر تطورا وتوفرا على الوسائل الطبية، إلا أن الأمر لم يتم لظروف حالت دون ذلك.

وما هي إلا أيام حتى دخل الأستاذ رحمه الله في غيبوبة، انتهت بوفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى، وكانت جنازتُه التي شهدها المئات من إخوانه وأصدقائه ومحبيه وعارفي فضله خيرَ دليل على ما كان يتمتع به من مكانة في المجتمع صنعها بتواضعه الجمِّ وحيويته الدافقة وتفتحه على كل الناس وصولاته وجولاته الفكرية في الملتقيات والندوات التي كان يشهدها ويُسْهِمُ فيها بتدخلاته وتعليقاته الممتعة بما كانت تزخر به من معلومات ثرية واستشهادات غزيرة.

صفات عرفناها في الأستاذ:

إننا لو أردنا أن نلخص حياة وشخصية فقيدنا العزيز الأستاذ الشيخ محمد الشريف بغامي رحمه الله، لما وجدنا أفضل من أن نقول: إن الرجل كان مجموعة من الخصال الشريفة الفريدة والأخلاق العالية المُنيفة التي تكاتفت وتكاملت لتشكل شخصيته الفذة، ومن هذه الخصال والأخلاق:

1- الثبات على المبدأ:

كانت للأستاذ محمد الشريف مجموعة من المبادئ التي أقام عليها حياته، واتخذها منهجا له في سائر شؤونه، سواء فيما يتعلق بتوجهاته الشخصية أو في علاقاته بغيره من الناس، هذه المبادئ لم يحد عنها طول حياته ولم يتراجع عن أي منها في يوم من أيامه، فهو ما كان يغير رأيا اقتنع به، ولا يحابي أحدا فيما يراه مخالفا لما يعتقده، ولا يتردد في أن يصف الواقع كما هو بكل جرأة ودون خوف ولا وجل ولا حذر. وحتى صداقاته الكثيرة وخصوماته القليلة كانت كلها

محكومة بهذا المعيار وخاضعة لهذا المنهاج الذي سطره لنفسه والتزمه في مسيرة حياته رحمه الله.

2- الجدية والانضباط والإخلاص للعمل:

عُرف سي محمد الشريف بالجدية والصرامة والانضباط والإخلاص في عمله الإداري، فلم يكن يتسامح مع أي كان فيما يتعلق بالعمل، وهذا ما عرفه منه من عملوا تحت إدارته في المؤسسات التي تولى تسييرها.

وهذا المنهج كما فرضه على غيره، فرضه كذلك على نفسه، فلم يكن يتسامح معها أو يتيح لها مجالا للراحة، بل كان يرهقها في متابعة الأعمال وإنهاء المهام وحل المشكلات، حتى يمنع تراكمها واستفحالها.

3- الإدارة الحكيمة:

ما عُرِفَ به الأستاذ رحمه الله من الجدية والصرامة والانضباط، لم يكن يعني العجرفة والاستبداد والتسلط، فالرجل وإن كان منضبطا وصارما، إلا أنه كان حكيما يُحسن وضع الأمور في مواضعها ويتخذ لكل موقف القرار المناسب المحقق للمصلحة والدافع للمفسدة.

ولذلك كانت إدارته متوازنة، على طريقة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه التي أكدها بقوله: "لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت"، قيل: وكيف؟ قال: "لأنهم إن مدوها خلّيتها وإن خلوا مددتها".

ولعل من عملوا تحت إدارته يزيدوننا تنويرا في هذا الشأن ويفيدوننا أكثر بما عرفوه منه في هذا الباب.

4- غزارة العلم وكثرة المحفوظات:

كان سي محمد الشريف موسوعة علمية وثقافية متنقلة، فقد آتاه الله بسطة في العلم، ورزقه ذاكرة نادرة تختزن الكثير من النصوص القرآنية والنبوية والشعرية والحِكَمية، تلك النصوص التي كان يستحضرها وتنثال على لسانه بكل سهولة ويُسر وكأنه يقرؤها من كتاب مفتوح أمامه عندما يكون بصدد الحديث في موضوع معين.

ولذلك كانت خطبه وتدخلاته ومحاضراته وتعليقاته وتعقيباته دائما زاخرة بالفوائد العلمية والمعلومات التاريخية والثقافية، مما يجعل من يسمعه ينجذب إليه ويحرص على متابعة كلامه إلى نهايته دون كلل ولا ملل.

وكم شهدناه يخطب في المحافل فيقرأ من ذاكرته قصائد لشعراء قدامى ومعاصرين، جزائريين وغيرهم، لا يتلعثم في أيٍّ منها ولا يتعثر ولا ينسى منها حرفا أو كلمة أو شطرا أو بيتا.

5- الفصاحة والبلاغة:

كان سي محمد الشريف نموذجا للمثقف الفصيح اللسان الذي مهما أطال في الحديث لم يكن لسانه يتعثر أو يتلعثم في كلمة أو يخطئ في حركة إعرابية، فقد كانت الكلمات تنثال من لسانه مرصوفة متقنة فصيحة لا يعتورها لحن ولا عوج. وإلى جانب الفصاحة فقد كان بليغا ينتقي الكلمات بإتقان ويتفنن في استعمالها ويضع كل كلمة في موضعها اللائق بها. كما أن كلامه كان من قبيل السهل الممتنع الذي إذا سمعته استسهلته وتصورت أن بإمكانك أن تأتي بمثله أو بأفضل منه، لكنك إذا أردت الإتيان بمثله لم تستطع.

6- التفتح على مختلف فئات المجتمع:

لم تكن علاقات الأستاذ محمد الشريف رحمه الله مقصورة على أترابه أو أصدقائه أو زملائه الأقربين فحسب، بل كانت علاقات مفتوحة وواسعة، فهو قريب من المثقفين والعلماء، مصاحب للمجاهدين وكبار السن، قريب من الشباب والفتيان. وهذا ما مكنه من أن يحظى بمكانة متميزة في قلوب الناس ويستولي على حبهم له، فكانوا يدعونه في المناسبات المختلفة ويطلبون حضوره في مجالس الصلح وينتدبونه لتأبين موتاهم. وقد أكد هذه المكانة التي كان يحظى بها العدد الكبير من الزوار الذين عادوه في مرضه، والمشيعين الذين حضروا جنازته.

7- تقدير الأعلام والوفاء للمشايخ:

نختم حديثنا عن خصال الأستاذ رحمه الله وشيمه الفريدة، بالإشارة إلى خصلة تميز فيها عن أترابه وزملائه؛ ألا وهي تقديره لأعلام منطقة الأوراس خاصة والجزائر عامة. فالرجل كان يخزن في ذاكرته الكثير من المعلومات والمعارف عن المجاهدين والشهداء وأبطال الجزائر عبر التاريخ، وكذا عن رجال الحركة الإصلاحية من أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وكان يدلي بهذه المعلومات في المحافل التي يشهدها والمحاضرات التي ينشطها والمناسبات الوطنية التي يُدعى للحديث فيها.

ومما يُذكر هنا مما هو من مظاهر إجلاله وتكريمه لعلماء الجزائر؛ أنه كان أول من اتصل بي ليخبرني بوفاة شيخ المؤرخين الجزائريين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعدالله رحمه الله، وكان الغرض من اتصاله أن أسأل من أعرفه ممن له صلة بالدكتور سعدالله عن موعد جنازته ومكان دفنه، وحين عرف الموعد والمكان استأجر حافلة خاصة ملأها بطلبة المعهد واستصحبهم إلى بلدة قمار في وادي سوف أين حضروا معه مراسيم الجنازة وأدوا واجب العزاء، وهناك ألقى كلمة ضافية أشاد فيها بخصال الدكتور سعدالله وأعماله العظيمة وإنجازاته الباهرة في تاريخ الجزائر عموما والتاريخ الثقافي خصوصا.

أما وفاؤه لمشايخه فقد ضرب فيه المثلَ وأعطى فيه القدوة والنموذج، فقد كان أول من سعى إلى تنظيم يوم دراسي تكريمي له في قاعة المحاضرات الكبرى بكلية العلوم الإسلامية في جامعة باتنة، يوم 15 جوان 2009م، واستقدم له عددا من الأساتذة ممن عرفوا الشيخ في مختلف مراحل حياته وكان منهم الدكتور أبو القاسم سعدالله والدكتور مختار فيلالي رحمه الله. وظل يذكر شيخه عمر دردور في كل مناسبة ويُعرف بسيرته العطرة ومآثره الكريمة كلما سنحت له الفرصة.

وكذلك كان حاله مع الشيخ الأمير صالحي والشيخ معلم محمد البخاري، وغيرهما.

وبعد، فهذه كلمات بسيطة في حق فقيدنا العزيز الأستاذ محمد الشريف بغامي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وهي جهد المقل، فقد دونتُها على عجل وفي زحمة من الأعمال الإدارية والعلمية المتراكمة والمتشابكة، وهي وإن لم تَفِ فقيدَنا حقه إلا أنها عبرت عما أكنه في قلبي لهذا الرجل من محبة ومودة واحترام وتقدير. وستظل ذكراه حية في القلب ما امتدت بي الأيام في هذه الدنيا إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

وصدق الله العظيم، إذ قال وقوله الحق المبين: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [آل عمران: 185].

✯✯✯✯✯✯

الأستاذ محمد الشّريف بغامي الرجل الذي لا تلين له قناة!

الأستاذ محمد مسعي

المدير الأسبق للمعهد الوطني للتكوين المتخصص بالتلاغمة – ولاية ميلة

أفتتح هذه الكلمة الموجزة - ونحن نتحدث عن الثقافة والمثقفين- بقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي متحدثا عن منزلة المثقفين في الأمم الحية:

"هم خيارها وسادتها وقادتها وحرّاس عزّها ومجدها، تقوم الأمّة نحوهم بواجب الاعتبار والتقدير، ويقومون هم لها بواجب القيادة والتدبير.والمثقفون هم حفظة التوازن في الأمم، وهم القوَمَة على الحدود أن تُهدم وعلى الحرمات أن تُنتهك وعلى الأخلاق أن تَزيغ". [الآثار ج2، ص126].

بادئ ذي بدء، أتوجّه بالشكر الجزيل إلى السيد مدير المعهد الذي أتاح لنا هذه الفرصة لنحتفيَ بالفقيد الغالي المثقف البارز الأستاذ محمد الشريف بغامي عليه شآبيب الرحمة، إن دلّت هذه السّانحة فإنما تدل على سُنّة حميدة هي سنّة استذكار مناقب ومآثر الرجال تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل لترسيخ القيم الإنسانية النبيلة ونشر الخلال الكريمة والآثار النافعة.

طوبى لمن عمّر الحياة بوعيه * * * وسعيِه والموتُ في حسبانه

طوبى لمدّخِرٍ ليومِ حسابه * * * ما قد ينال به ندى رحمانه

إخواني، نحن إزاء سيرة ومسيرة متعددة المناشط والأوجه، فلا يمكنني في هذه الدقائق المتاحة أن أُلِم بشخصية مثل الشخصية التي نحن بصدد دراستها، خاصة وأنا أستحضر قول القائل:

وأجمل الناس مِقلال من الكلِم   وأفصح القول إيحاء بغير فم

وحيث إنني لم أحضر اليوم لأضفيَ العصمة أو القداسة على رفيق دربي، فهو بشر يعتريه الخطأ والصواب، ولكن المقام يقتضي استجلاء الجوانب المضيئة والإيجابية في حياة رائدنا، من حيث المبادئُ السّامية التي اعتنقها وعمل بها،

وكذا الإنجازاتُ التي حقّقها في مسيرته الطويلة والثّرية، وأخيرا الطّموحاتُ التي ظل يتأبّطها تحت جناحيه.

لقد رافقت المرحوم أكثر من ثلاثة عقود، بقينا على اتصال وتواصل دائم طوال هذه الفترة الممتدة من سنة 1987 إلى 2019 تاريخ وفاته رحمه الله.حيث جمعني القدر بالأستاذ محمد الشريف بمعهد سيدي عقبة، أين رشحني لمنصب مدير الدراسات، فكنت ساعده الأيمن ومستشاره في الصغيرة والكبيرة، وكانت آخر محطة جمعتنا هي التوأمة التي حققناها لصالح معهدينا بتلاغمة وزانة البيضاء والتي كان من ثمارها عقد ندوتين علميتين تربويتين بمشاركة أساتذة المؤسستين، الأولى بزانة البيضاء سنة 2013، والثانية بتلاغمة سنة 2016، ثم شاء الله أخيرا أن تجمعنا عضوية البعثة الوطنية للحج 2017 فكنا في مركز المدينة المنورة رؤساءَ أفواج نتقاسم الإقامة في غرفة واحدة طيلة شهرين كاملين.

رجل المبادئ والقيم

أبادر بتقرير حقيقة في سيرة ومسيرة الفقيد رحمه الله وهي أنه شخصية كاريزمية بامتياز، صلب لا ينثني ولا يتزعزع، خصوصا إذا ما تعلق الأمر بالمبادئ الثابتة والقناعات الراسخة.وربما اضطر إلى الصّراع في سبيل إثبات الغاية المرجوة وتحقيقها بالوسيلة المشروعة التي يعتمدها في معالجة ملف النزاع، فهو لم يكن مكيافيليا ـ رحمه الله ـ "فالنية الحسنة لا تبرر الحرام"، طبقا لقواعدنا الفقهية المقررة؛ ومن أبرز الأدلة على ذلك توثيقُه وجمعه لمختلف الحجج والإثباتات ولا يخضع في خصومته لسلطان الهوى ولا لتأثير النميمة والوشاية الكاذبة. ومن جملة تلك المعارك التي فرضت على الأستاذ هي مسألة تنزيله في الرّتبة من مفتش إلى إمام أستاذ بمديرية الشؤون الدينية لولاية باتنة، وكذا المواجهة التي خاضها في ولاية خنشلة منافحا عن الموظفين المظلومين، الذين تصدّوا للفساد والانحراف، فكل تلك المنازعات مقيّدة بالمحاضر والوثائق، وبهذه المنهجية الإدارية والحكمة في معالجة الملفات والقضايا محل النزاع كان إداريا محنّكا ناجحا.

الرجل الزاهد المتعلم

لقد عاش فقيدنا حياة زهيدة بسيطة، حيث نشأ على العفاف والكفاف، وربما عانى في أوائل عمره شظف العيش، فالرجل تزوج مبكرا وكان يزاوج

بين الدراسة والعمل في العطل الموسمية فلا يستريح ولا يستكين، فالرجل عصامي يعتمد على نفسه ولا يستعين بأحد.

إنّمـــا رجـــل الـــدّنيا وواحـــدُها * * * من لا يُعوّل في الدنيا على أحد

وأما عن مساره الدراسي فقد كان الراحل شغوفا بالعلم والمعرفة وكان يتفوق على أقرانه في مختلف مراحل دراسته ولذلك انتدب مرتين، مرة من رتبة معلم ابتدائي إلى أستاذ التعليم المتوسط (معهد تكوين الأساتذة)، ثم انتدب ثانية من المتوسط إلى الجامعة، أين حصل على شهادة البكالوريا بالموازاة مع الدراسة، ثم واصل سعيه للارتقاء بمستواه العلمي حيث نجح مرتين في مسابقة الماجستير بجامعة باتنة معهد الآداب ولكن ظروف العمل والارتباطات المهنية والعائلية لم تسمح له بمواصلة الدراسة في طور ما بعد التدرج.

المربي والمكوِّن

ظل الفقيد يربي ويكون الطلبة الأئمة في كل المعاهد التي سيرها، وكان يقوم على رعاية المنتوج بنفسه حيث يشرف على التداريب التطبيقية بمصليات المعاهد والمساجد القريبة من المؤسسة، وكان يقوّم عروض الطلبة ودروسهم ويفيدهم بالتوجيهات البيداغوجية والعلمية والعملية، وكان لتلك الأنشطة صداها وأثرُها الطيب في نفوس الطلبة وعقولهم مكنتهم من خبرة متراكمة وظفوها بعد التخرج.

وأما عن منصب التفتيش (كمفتش للتعليم المسجدي والتكوين) فقد استثمره لصالح تحسين أداء المساجد وأئمة المساجد في ولايتي باتنة وخنشلة، وحقق في ذلك نتائج ملموسة تمثلت في توحيد التوجيه الديني وتفعيل دور الإرشاد في المجتمع، وقد بذل المرحوم مجهودات مضنية شهد بها القاصي والداني، وواجه بسببها عراقيل وصعوبات لإعاقة نشاطه وتثبيط عزيمته من طرف خصوم النجاح والتّميز، وقد أنفق من جسده الهزيل الكثير من مناعته وقوته مما انعكس على صحته فعانى من أمراض شتى ومتعددة لم تغادره إلى رحيله.

هذا وقد استفرغ الأستاذ كامل طاقاته في سبيل أن يحوّل قسما للتعليم القرآني في منطقة زانة البيضاء إلى معهد عال في ظرف وجيز يشع بالثقافة والعلم والفكر النيّر ويخرج أئمة رساليّين ينشرون الدّين الصحيح ويحاربون

البدعة والشعوذة، وقد كان الفقيد يعقد الملتقيات والندوات والأيام الدراسية لا يخلو شهر من إحياء مناسبة دينية أو ذكرى وطنية، داعيا الأساتذة من جامعة باتنة خصوصا ليحاضروا في مختلف فروع المعرفة، ولقد كان للأستاذ اهتمام خاص بالتاريخ الوطني (الحركة الوطنية والثورة التحريرية) بحكم انتمائه إلى أسرة ثورية مجاهدة، على رأسها والده رحمه الله، الذي كان معلما للقرآن أثناء الثورة المجيدة، كما يحوز الفقيد الراحل على رصيد معرفي وتاريخي مهم أستفاده من ملتقيات الأدب والثورة التي كان يواظب على حضورها بباتنة، في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي.

وكان للفقيد أيضا نشاط جواري وجهوي، يقدم الدروس والمحاضرات بالمساجد والنوادي الثقافية والجمعيات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي، لا يتأخر كلما دعي للتنشيط والمساهمة، وكان الفقيد عضوا في رابطة الأدب الإسلامي مع الدكتور مصطفى الغماري وحسن خليفة وسليمان بخليلي في الثمانينات، وكانت له مشاركة في برنامج "نور ومنار" بالإذاعة الجهوية بباتنة في التسعينات من القرن الماضي، وهو من المدمنين على قراءة المجلات والاشتراك فيها وكذلك قراءة الشعر وحفظه والتغني به كإلياذة مفدي زكرياء ودواوين مصطفى الغماري وغيرها من الشعر القديم والحديث.

وكان للمرحوم لقاء مع إحدى القنوات التلفزية السعودية بالمدينة المنورة في حجة 2017، حيث شارك في برنامج "من كل فج عميق" أحسن فيه الأستاذ تعريفا بالجزائر أمة ووطنا وحركة تاريخية.

طموحات الفقيد:

كانت للفقيد طموحات عالية بالنظر إلى همته وروحه الشفافة وحبه لدينه ووطنه، فقد كان يغار على القطاع ويدافع بشراسة عن المنظومة الدينية وعن الأئمة والدعاة.

لقد وُعِدَ الأستاذ محمد الشريف مرّتين بالتعيين في إحدى الوظائف العليا بالقطاع كمدير للشؤون الدينية في إحدى الولايات في عهدة الوزيرين الأسبقين بوعبدالله غلام الله ومحمد عيسى، ولكن للأسف لم يتحقق شيء من ذلك وكان يأمل أن يتولى إدارة وتسيير إحدى المديريات المركزية كإدارة الوسائل أو التكوين أو التوجيه الديني أو التعيين كمفتش عام على رأس القطاع ليضيف إنجازا متميزا يستثمر فيه خبرته الطويلة المتراكمة للنهوض بالقطاع وتحقيق

النموذج الأمثل لباقي قطاعات الدولة، ولكن شاءت إرادة الله أن يترجل الفارس قبل تحقيق هذه الآمال والطموحات.

وفي الأخير، أرجو من إدارة المعهد أن تعمل على جمع تراث الفقيد واستغلاله ونشره لصالح المعهد والقطاع والأمة الجزائرية، وأن تعقد ملتقيات سنوية لدراسة هذه الشخصية الإصلاحية المتميزة التي تشربت من قيم ومثل جمعية العلماء المسلمين.

وأشكر مجددا الإدارة على المبادرة الطيبة وعلى كرم الضيافة وحفاوة الاستقبال، وأشكر عائلة الفقيد التي تجاوبت مع هذه الفعالية (**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**) [الأنعام: 90]، وشكرا للحضور على مشاركتهم وصبرهم وكرم إصغائهم.

رحم الله الفقيد وبوّأه منازل العلماء العاملين والدّعاة المخلصين.

(**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [النحل: 97].



الأستاذ محمد الشريف بغامي ودوره في تكوين الأئمة وخدمة المساجد
مداخلة للدكتور بشير قادرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة باتنة1

لقد تعرفت على سي محمد الشريف بغامي رحمه الله، فيما أذكر، سنة 1978 أو 1979، كنت آنذاك أستاذا في التعليم الثانوي في ثانوية صلاح الدين الأيوبي، وكان سي محمد الشريف طالبا في المعهد التكنولوجي العربي التبسي لتكوين المعلمين.

بعد ذلك انقطعت الصلة بيننا حتى عاد مديرا مساعدا للشيخ عمر دردور في معهد تكوين الأئمة بسيدي عقبة، ثم مديرا له.

ما يمكن قوله في هذه العجالة وهي 15 دقيقة الممنوحة لنا من طرف الجهة المنظمة لليوم الدراسي، وهي إدارة معهد تكوين الأئمة ـ الشيخ عمر دردور ـ بزانة البيضاء، ولاية باتنة.

ويتعلق ذلك بدورمحمد الشريف بغامي ـ رحمه الله ـ في تكوين الأئمة ومن ثم خدمة المسجد.

ولكن قبل ذلك أمهد للموضوع بالإشارة لعصامية محمد الشريف رحمه الله.

أولا: عصاميته:

إنه رجل عصامي بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ، ولو لم يكن عصاميا لكان كسائر زملائه الذين انتسبوا إلى المعهد التكنولوجي لتكوين المعلمين، وكانت نهاية مساره الدراسي والوظيفي معلما بالمدرسة الابتدائية، ولم يسمع به أحد، ولم يترك أثرا.

لكن أن يتجاوز هذه المراحل وينتسب إلى الجامعة ويتخرج منها ويُوظَّف أستاذا بمعهد تكوين الأئمة، ثم يصل إلى إدارتها، كمساعد للشيخ عمر دردور بمعهد سيدي عقبة، ثم مديرا للمعهد خلفا للشيخ عمر دردور، ثم يترك هذه البصمات، فهذا دليل على أنه رجل عصامي، رجل رسالي، وقليل هم الرساليون في هذا الزمن الذي نعيشه.

ومن عصامية الأستاذ سي محمد الشريف، كفاءته العلمية، فقد جمعتنا مناسبات علمية وثقافية وملتقيات، واستمعت إليه وهو يتدخل ويعقب ويناقش،

وكانت تدخلاته دقيقة ومفيدة، وممنهجة، تقوم على الحجة والدليل والتوثيق، في لغة سليمة راقية، لاسيما في مواضيع اهتماماته في مجال التاريخ الوطني، ورجال الإصلاح، وموضوع الهوية الوطنية والدفاع عنها، والكشف عن مخططات الأعداء.. مما يدل على أن الرجل فعلا كان عصاميا رساليا، مهموما بما يخدم الدين، والوطن، والوطنية، والهوية، ومن ثم فعندما تستمع إليه وهو يتكلم، فهو في مصاف الأكاديمين في منهجيته وتوثيقه وقوة حجته وسلامة لغته، استطاع أن يرتقي بنفسه من معلم في المدرسة الابتدائية إلى أن يصل إلى هذا المستوى من التأثير الاجتماعي والديني، ويكسب قلوب كثير من الأفاضل في مستويات وأعمار مختلفة.

ثانيا: دوره في تكوين الأئمة وخدمة المسجد:

سي محمد الشريف له فضل كبير على كثير من الأئمة، لأنه كان مديرا لبعض معاهد تكوين الأئمة؛ في سيدي عقبة، في تيزي وزو، وآخر محطة له في ذلك هذا المعهد ـ معهد الشيخ عمر دردور.

وللأستاذ محمد الشريف دور كبير فيما وصل إليه هذا المعهد، لأن هذا المعهد كان في البداية مبرمجا أن يكون مدرسة قرآنية، ثم تغير المشروع ليصبح معهدا لتكوين الأئمة، بما يحتاجه من أدوات ووسائل، لم تكن متوفرة لظروف الوزارة الوصية، وكان يحتاج إلى كثير من التجهيزات ويحتاج إلى كثير من الوسائل، ليرقى ويصل إلى هذا المستوى، مع انعدام ميزانية للتجهيز.

لكن سي محمد الشريف من خلال علاقاته، وثقة الناس المحسنين به، لجميل أخلاقه، وأمانته، وفعاليته، استطاع أن يرتقي بهذا المعهد إلى هذا المستوى في مجال التجهيزات المادية ليسمح للطلبة بالتكوين في ظروف ملائمة ومقبولة.

وله تأثيرات أخرى في المعاهد التي تولى إدارتها، بشخصيته، وأخلاقه، وفعاليته، فقد كان سي محمد الشريف رحمة الله عليه، متواضعا، خلوقا، جادا، متابعا، مهتما، رساليا، وصارما عندما يكون الموقف يحتاج للصرامة والحزم.

وشهادة لله؛ مرة كنت عائدا من العاصمة بسيارتي، فاستوقفني في الطريق شاب، ربما بعد سطيف، لا أتذكر المكان، توقفت له وأركبته معي، وأثناء الحديث والدردشة تبين لي أنه كان يشتغل هنا في هذه المؤسسة، في

المطعم، ولكنه كان يريد أن يبحث عن عمل آخر. قلت له: لماذا، ما دمت تشتغل في مطعم في هذه المؤسسة وأنت موظف فلماذا لا تبقى في هذه المؤسسة؟ أجابني بأن المدير ـ وهو سي محمد الشريف ـ عندما يذهب الطلبة في العطلة، كان يأخذ العمال ليُشغلهم في أعمال أخرى منها مثلا غسل بطانيات الطلبة، ولذلك كان هناك عمل كثير. وحسب هذا الشاب أنهم في عطلة ويفترض أن لا يُشغّلوا في أعمال أخرى، ولكن سي محمد الشريف بدافعه الرسالي كان يريد أن يقدم للإمام بطانية نظيفة، فهو ليست له إمكانات ليأخذ هذه البطانية ليغسلها في المغاسل العمومية مما يكلفه، ولذلك كلف العمال وقال لهم: أنتم تأخذون أجرة، وما دام الآن لا يوجد طلبة، فعليكم أن تنجزوا هذا العمل وأنتم مأجورون.

إذن هذه عينة عن كيفية تفاني الرجل في خدمة المؤسسة في كل صغيرة وكبيرة، لدرجة أنه كان يسعى أن يكون الإمام في ظروف مريحة.

كذلك؛ فإنه كلما سمع عن كتاب يمكن أن يستفيد منه الطلبة إلا وسعى لإحضاره إلى مكتبة المعهد ليستفيد منه الجميع، وفي هذا المجال لما علم بموضوع أطروحتي للدكتوراه، وهو يعالج موضوعا دعويا يتعلق بأثر تكوين الإمام في أداء رسالته التوجيهية في المسجد، طلب مني أن أحضر له نسخة منها ليجعلها في مكتبة المعهد ليستفيد منها الجميع طلبة وأساتذة، وكان له ذلك.

إذن؛ بأخلاقه، بالتزامه، بمواظبته، بمعرفته بكل ما يجري في المؤسسة؛ طلبة وأساتذة وعمالا، كان له إسهام كبير في ترقية مستوى هذه المؤسسة. هذا فيما يتعلق بأدواره مديرا لمعاهد تكوين الأئمة.

أما المحطة الثانية؛ التي كان له منها تأثير إيجابي على الأئمة، هي محطة التفتيش، حيث كان سي محمد الشريف مفتشا للتعليم والتكوين المسجدي هنا في ولاية باتنة ثم في ولاية خنشلة، ومفتش التعليم والتكوين المسجدي، معناه متابعة الأئمة الذين تخرجوا من المعاهد وانتسبوا إلى المساجد، يتابعهم في تكوينهم، في أدائهم، في حضورهم، في مواظبتهم، في أخلاقهم، في كل المجالات بحيث يكون هذا الإمام رساليا.

وفي مرة من المرات جلست مع سي محمد الشريف فأطلعني على مشروعه في كيفية تفتيش الأئمة، فقد أوجد آليات جديدة؛ آليات علمية، آليات منهجية، آليات إجرائية، آليات أدائية، في ترسيم الأئمة وفي متابعتهم، لأن الإشكال الموجود في قطاع الشؤون الدينية أن الإمام لا يوجد عنده برنامج،

خلافا للأستاذ في التعليم الثانوي أو الجامعة أو في مراكز التكوين، إلى غير ذلك، الأساتذة لهم برامج يلتزمون بها، لكن في قطاع الشؤون الدينية لا يوجد هذا.

وهذا الخلل تتحمله السلطة الوصية بحيث أن الإمام يمكن أن يبقى عشرين سنة وهو يتكلم عن الوضوء ولا أحد يحاسبه، هذا يعود إلى ثقافته، إلى تكوينه، إلى حسه، إلى نضجه، إلى تحمله المسؤولية، إلى فهمه للمجتمع، لأن الإمام لكي يحل مشاكل المجتمع يجب أن تكون له دراسة للمجتمع، ومن ثم يعرف ما هي المشاكل التي أدت بهذا المجتمع أن يصل إلى هذا الحضيض، إلى هذه المشاكل، إلى هذه الوضعية، ويسعى إلى إيجاد الحلول.

ولذا قلت: سي محمد الشريف أوجد آليات من خلالها يتابع الأئمة، فيقول لكل منهم: أنت إمام يجب أن تقرأ كذا، يجب أن تتفقه في كذا، يجب أن تلم بكذا، يجب أن تحيط بكذا، يجب أن تكون حاضرا، يجب أن يكون أداؤك رساليا، فأنت صاحب رسالة ولست موظفا، لست أجيرا وإنما أنت تؤدي رسالة، تبلغ عن الله، تبلغ عن رسول الله ﷺ، إذن يجب أن تكون قدوة.

ولذا قلت: سي محمد الشريف له بصمات، ورغم أن هذه البصمات ضيقة لأنه اشتغل في ولايتين وفي أربعة معاهد، ولكن تصوروا لو أن الرساليين أمثال سي محمد الشريف كان عددهم كثيرا، سيكون تأثيرهم كبيرا على المجتمع، ولاسيما أن هذه المؤسسات – مؤسسات تكوين الأئمة – هي مؤسسات حساسة وحساسة جدا، لماذا؟ لأنها تُكوِّنُ النخبَ التي تؤثر على المجتمع، فالمجتمع ينظر إلى هؤلاء الأئمة بمنظار القدوة في كل شيء، فهم يعلمون الصغار والكبار، ويؤثرون بأفعالهم قبل أقوالهم، عندما يكونون في مستوى الرسالة التي يقومون بها، في إصلاح عقائد وأخلاق ونوايا الناس؛ ولذلك يجب أن يكون هؤلاء الأئمة قدوة في الفعل وفي القول وفي كل المجالات، والشيخ سي محمد الشريف رحمة الله عليه كان يعمل في هذا المجال.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمه برحمته الواسعة، وأن ينفع به بما تركه من آثار طيبة، لأن الناس عندما يقتدون بالأموات فقد أمنوا على أنفسهم الفتنة، وهذا الرجل انتقل إلى ربه وهو ما بدل وما غير، فقد عاش في حياته من أجل رسالته ومن أجل خدمة ما يؤمن به.

✯✯✯✯✯✯

بعض المناقب في شخصية الأستاذ محمد الشريف بغامي

مداخلة للدكتور أحمد زردومي

أستاذ علم الاجتماع بجامعة قسنطينة

إن موت الدعاة والعلماء يُعتبر خسارة كبرى للأمة.

إنه من الصعب جدا أن أتكلم عن أخي وصديقي محمد الشريف بغامي رحمه الله، فهذا الرجل له مناقب كثيرة وعديدة، وحديثي عنه هو حديث صديق عن صديقه منذ أن كنا شبابا في نهاية السبعينات من القرن الماضي.

وأذكر يوم أن التقينا في تمنراست بمناسبة انعقاد ملتقى الفكر الإسلامي سنة 1979، حيث جلنا وصلنا مع كبار العلماء آنذاك الذين كانوا يزورون الجزائر، وكنت بجانبه نستفسر ونبحث عن بعض الأجوبة التي كانت في تلك المرحلة تواجهنا كشباب تواقين للحركة الإسلامية والعمل الإسلامي.

هذه المدة التي تجاوزت أربعة عقود وأنا أجالسه وأعرف بعض مواقفه وخصاله ومنزلته ومكانته معلما ومدرسا وداعيا ومرشدا وقائدا.

مهما حاولت أن أقف في بعض محطات حياته، فإنني أخشى أن لا أوفيه حقه.

وأريد هنا أن أقدم شهادات من كلامه ومواقفه وتصريحاته وما بذله من جهود في خدمة الدعوة وخدمة المجتمع، وما تعرض له من معاناة وبلاء ومحن. وأحاول أن أكون مختصرا مختارا لبعض المقتطفات من حياته.

إن المتأمل في سيرة أخينا وأستاذنا الفاضل المرحوم محمد الشريف بغامي، يجد أنه في بداية عمره تربى في قرية (تاجرة) جنوب بلدية إينوغيسن، وهي منبع وادي الأبيض الكبير الذي يصب في ولاية بسكرة. تعلم القرآن وحفظ جزءا منه على يد والده سي محمد بن أحمد، وكان دائما يحاول أن يحفظ القرآن كبقية الأجيال التي كانت آنذاك.

أخي محمد كان صاحب مواهب عديدة، وذكاء وبداهة، وفصاحة وبلاغة، كان خطيبا متفوقا، وكان أيضا متحكما في أربع لغات: اللغة العربية وهو فارسها، واللغة الفرنسية، واللغة الإنجليزية، واللغة الشاوية التي كان فارسها أيضا.

كان يتحدث باللغة العربية مراعيا قواعدها، متميزا عن زملائه، وهو كان شابا وكان لطيف الكلام، وقد يتمتع كثير من الناس بصوته وفصاحته أيام كنا شبابا.

هذا الرجل يعتبر في اعتقادي من حيث هذه المواهب، من الذكاء والبداهة وغير ذلك، نموذجا من النماذج التي يمكن الاقتداء بها للشباب أو للكبار.

أخي محمد كان شغله الشاغل في الأوساط الاجتماعية، وخاصة في مسقط رأسه، أنه يسعى دائما لإصلاح ذات البين، وكان دائما يريد ويسعى أن يرفع راية الدعوة في سبيل الله، وكان يريد أيضا الوحدة بين العاملين في الصحوة الإسلامية ويرفض التعصب المقيت الذي كان يظهر من حين لآخر. وكان أيضا يحارب الغوغائية في الصحوة الإسلامية.

وأذكر هنا بعض المحطات الكبرى في حياة أخي محمد رحمه الله.

كان يمتاز بالصبر على الشدائد، وكان أيضا لا يسأم من الإلحاح في القضايا الإيجابية، وكان يثق في نفسه كثيرا وإلى درجة كبيرة.

كان يعرف قدر العلماء والدعاة، وكان يبجلهم ويستدعيهم ويستشيرهم ويستأنس إليهم كثيرا.

وكان دائما أيضا يوصي بالشباب التواق إلى الالتزام الديني قولا وفعلا.

وكان رجلا قنوعا زاهدا في حياته.

كان يحفظ الشعر وأقوال العلماء، إلى درجة أنه كان يحفظ كثيرا من أقوال إبراهيم بن أدهم ويستشهد بها في المواقف الصعبة.

وكان كذلك خطيبا متحمسا قادرا على التحدث بطلاقة، فهو يمتاز بالجراءة وتوظيف الأفكار في مكانها، وله طريقة الإلقاء الخاصة به. وفي يوم من الأيام قال لي: "يا سي محمد كنت أعاني من الخوف والارتباك في إلقاء الكلمات، وكانت تؤثر على أفكاري هذه المواقف الصعبة، ولكن بفضل الله تدربت شيئا فشيئا من أجل اكتساب القدرة على التعبير بوضوح". فتدرب على ترتيب الأفكار بشكل منطقي، وكان يحفظ بعض الخطب لعدد من الخطباء.

وكان لديه الإلقاء الجيد، حيث كانت له نبرات متميزة، وله قدرة على إيصال نبراته بطريقة رائعة وبطريقة تلقائية، وكان يشدد على الكلمات المهمة

في خطابه، فهو نموذج من نماذج الذين يحسنون الخطابة، وخاصة الخطابات المرتجلة.

وكان أيضا متواضعا جدا في خطبه، دون تكلف ودون تصنع، وكنا نشعر بالراحة عندما نسمع خطب الشيخ محمد الشريف بغامي.

محمد الشريف بغامي الإداري المحنك:

وأريد هنا أن أركز على محطة من محطاته الكبرى، وهي محطة الإدارة.

فبغامي قضى من عمره أكثر من ثلاثة عقود في الإدارة، وكنت أستمع إليه كثيرا من أجل أن أفهم تسييره الجيد المحنك، مستفيدا منه أيما استفادة، فكان إداريا بسيطا كبقية الإداريين، كان يتصرف بطريقة التدرج الهرمي الوظيفي، ويرص الصفوف ويبني الجسور بين الموظفين ويرفض إقصاء أحد مهما كان، كل ذلك نتيجة أخلاقه الرائعة.

كان يتمسك أحيانا باللوائح والقوانين الواضحة، وكان يحترم العلاقات الرسمية ولا يتجاوزها.

كان ذكيا فطنا، كان يعرف أن بعض القوانين تنتهي صلاحيتها لأن هناك ردودا فعلية عليها، ومن ثم لم تعد ملائمة، وكان يتباطأ نوعا ما حتى ربما لا يقع في حرج أو في تنفيذ خاطئ.

كان يرفض الروتين الإداري ولا يحبه إطلاقا، بل كان يمقته.

كما أنه اكتسب عادة كتابة التقارير الإدارية بحنكة كبيرة، لأن إعداد التقارير الإدارية هو الآن علم يدرس في الجامعات وفي المعاهد، فهو أيضا كان يمتاز بحنكة لا بأس بها في تقديمه أثناء إعداد التقارير الإدارية، وهو فن من الفنون في الصياغة القانونية والصياغة الإدارية.

وكان أيضا يستفيد من الخبراء في العمل الإداري.

هذا كإداري بسيط يمكن أن نستفيد منه في هذه المحطة.

أما كمدير، فإن بغامي - في رأيي المتواضع – كان يتقن دور المدير بشكل جيد وواضح للعيان، كان ذكيا يتصرف بالعقل قبل العاطفة، فهو يراقب كل العمليات الإدارية ويراقبها بتفاصيلها، وخصوصا الميزانية، وكان يدخل تفاصيل التفاصيل في الميزانية حتى لا تسجل عليه بعض الأخطاء.

وكان أيضا يسعى لحل مشكلات العمل اليومية باجتهاداته المختلفة. وكان يعلم المرؤوسين فكرة المراقبة الذاتية، بمعنى: خَفِ اللهَ قبل أن تخاف القانون.

كان يعطي فرصة لتدريب الموظفين على أداء العمل، وكان يستغل أحيانا الجانب العاطفي ومشاعر الوطنية لإنجاح العمل، ومن ثم يحقق درجة ارتفاع الأداء، ولعل الصرح الذي نحن متواجدون فيه (المعهد) جزء منه بني أو شيد بالجانب العاطفي والمشاعر.

وكان يحمس العمال لزيادة التضحية بساعات إضافية في العمل دون مقابل، خاصة عندما كانت المؤسسة في بداية نشوئها، فبفضل إرادة الجميع شيدت هذه المؤسسة، وما زال ينقصها الكثير، وكان في برنامجه أن يطورها أكثر.

كان يعالج النزاعات الإدارية بحكمة حتى لا تنعكس سلبيا على التنفيذ. والمعروف أن كل إدارة فيها نزاعات، فهناك حسد، وهناك غيرة، وهناك مناوشات، وهناك، وهناك، ولكن هو – في اعتقادي – كان يعالج هذه النزاعات بحكمة كبيرة، وقد أخفق في علاج بعض هذه النزاعات لأنه لم يكن يتحايل، وكان صادقا ولا يسفه آراء المتنازعين، وأنا أعرف العديد من النزاعات التي مر بها، وقد عاش محنا كبيرة في هذا الجانب.

أما بغامي كمدير وقائد، ويعتبر من القادة، فهو كان يتمتع بمجموعة من المهارات الإدارية، ولعل أهمها إتقان العمل، عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".

وكان ينطلق من المبادئ والقيم العليا والمثل العليا، كالأمانة وروح المسؤولية والأخلاق في العمل وأخلاق المهنة، إلى غير ذلك من الخصال الحميدة التي كان يمارسها أخونا محمد الشريف في إدارته.

وكان أيضا يمتاز بالالتزام، ويمارس ممارسة فعلية الالتزام، فهو كان يضحي بجزء كبير من وقته من أن أجل أن ينجز مهامه في الوقت المناسب. وهذه تعتبر ميزة من ميزات الإدارة الناجحة، ويعتبر في الإدارات التي مر بها كان ناجحا – في اعتقادي – في مهامه، إلا القليل من الأخطاء التي وقع فيها، وهو بشر على كل حال.

كان كذلك يحفز عماله ويوفر لهم المناخ الملائم لأداء العمل، كما كان يحاول أن يمدح ويشكر ويأتي بأبيات شعرية من أجل أن يحمس العمال لكي يبذلوا جهدا أكبر.

وكان أيضا يفجر طاقات العاملين، بمعنى أنه كان صاحب فراسة يعرف أن عاملا يستطيع أن يؤدي مهمة ما فيكلفه بهذه المهمة لإنجازها.

وكان يسيطر على الملفات الإدارية إلى حد كبير، والأمثلة متعددة.

كان لديه روح المخاطرة والتحدي والجرأة، وكان أحيانا من خلال هذه الجرأة يفتح بعض الثغرات على نفسه، حيث يستغلها خصومه.

وكان يريد التجديد والتفوق والبحث عن الامتياز. كان دائما يصبو أن يكون مديرا ممتازا متفوقا، وكان يريد أن يحقق عددا من النتائج بأقل التكاليف، ولا يصل إلى هذه الدرجة إلا الأذكياء المؤهلين لمثل هذا الأمر.

كان يشجع المبادرات داخل المؤسسة وخارجها.

وكانت له قدرة على تجاوز الصعوبات والعوائق التي تعترضه.

وكانت آخر الكلمات التي سمعتها منه، كنا في معهد التلاغمة، وتحدث معي قائلا: يا سي محمد أتعرف هذا وذاك وذاك من الطلبة؟ إنني أسعى لإعداد الرديف، أي الخلف لخير سلف، ربما أموت وأنتقل إلى رحمة الله وربما أخرج إلى التقاعد، ولذلك فإنني الآن أبحث في أوساط الطلبة وفي أوساط الأساتذة عمن يخلفني ليتحمل أعباء المسؤولية.

هذا الكلام كان منذ سنتين أو أقل أو أكثر.

والحديث يطول في تعداد خصال ومناقب الفقيد.

نسأل الله له الرحمة والمغفرة.

✯✯✯✯✯✯

الصدق مع الله تعالى وتجلياته في حياة الشيخ بغامي
بقلم: الطالب الإمام رضى عبيرز

إن هذا الدين الحنيف يحث على مكارم الأخلاق من عفة ومروءة وحسن خلق وصلة رحم... وغيرها من الأخلاق التي عظم الشرع أجر من تحلى بها، ومن جملة هذه الأخلاق الكريمة خلق الصدق الذي أمر الله بالتحلي به فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]، يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرفهم سبيل النجاة من عقابه و الخلاص من أليم عذابه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله اتقوا الله وراقبوه بأداء فرائضه و تجنب حدوده، وكونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة، يعني مع من صدق اللهَ الإيمان به فحقق قوله بفعله ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذب قيلهم فعلهم".

وإنما معنى الكلام وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا كما قال جل ثناؤه: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا} [النساء: 69].

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي عند تفسير هذه الآية : "وكونوا مع الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم الذين أقوالهم صدق وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقا، خالية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة فإن الصدق يهدي إلي البر وإن البر يهدي إلي الجنة قال الله تعالى: { قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ }[المائدة: 119].

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "ليس شيء أنفع للعبد من صدق ربه في جميع أموره مع صدق العزيمة فيصدقه في عزمه وفي فعله، قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ}[محمد: 19]، فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل... ومن صدق الله في جميع أموره صنع له فوق ما يصنع لغيره" اهـ.

وقد امتدح الله تعالى بعض عباده ووصفهم بالصدق فقال عن عبده وخليله إبراهيم عليه السلام: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا} [مريم: 41].

وكما امتدح نبيه إسماعيل عليه السلام فقال: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا} [مريم: 54].

كما امتدح نفرا من المؤمنين فقال تعالى : {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: 23].

وهنا يتساءل البعض عن مناسبة حديثنا عن الصدق مع الله جل وعلا لما نحن فيه من إحياء السيرة الذاتية للشيخ المرحوم محمد الشريف بغامي، فالجواب عن هذا يكون من جانبين:

أولا : أنّ الشيخ رحمه الله كما ورد في ترجمة سيرته الذاتية الصادرة عن معهدنا المبارك يُدْعَى بالصّادق.

ثانيا : لما رأينا منه طيلة سنتين كاملتين من صدق وجدية وتفان في العمل داخل المعهد و خارجه، فقد كان رحمه الله كالأب الشفيق على أبنائه، فكان مرافقا لنا في أقسامنا وفي مراحل تربصنا في ما يتعلق بالدروس الليلية ودروس الجمعة وكذلك الخطب، ومن صدقه حرصه على أن يشهد الطلبة على اختلاف مستوياتهم من أئمة و مؤذنين و قيّمين صلاة الفجر جماعة في المسجد فيتولى بنفسه إيقاظ كل من يتأخر عنها. ومن النماذج البارزة للعيان التي تؤكد صدقه وإخلاصه - والله حسيبُه - سعيُه الحثيث في جلب الإعانات المالية والمادية وكل احتياجات الطلبة من المحسنين الذين كان له بهم اتصال دائم .

ومن المعلوم قطعا أن هذه الكلمات الوجيزة لا تكفي لبيان وإيضاح قدر ومكانة هذا الرجل العلمية والعملية المليئة بالمجهودات والتضحيات في كل الجوانب.

ولعلمي بشغف وولع الشيخ رحمه الله بالشعر ارتأيت أن أختم مداخلتي هذه المتواضعة بهذه الأبيات الشعرية:

وذو الصدق لا يرتاب والعدل قائم * * * على طرقات الحق والشر أعوج

وأخلاق ذي التقوى و ذي البر في الدجى * * * لهن سراج بين عينيه مسرج

ونيات أهل الصدق بيض نقية * * * وألسن أهل الصدق تتلجلج

وليس لمخلوق على الله حجة * * * وليس له من حجة الله مخرج

وقد درجت منا قرون كثيرة * * * ونحن سنمضي بعدهن وندرج

رويدك يا ذا القصر في شرفاته * * * فإنك عنها مستخف و تزعج

وإنك عما اخترته لمبعد * * * وإنك مما في يديك لمُخرَج

ألا رب ذي ضيم غدا في كرامة * * * وملك وتيجان الخلود متوج

لعمرك ما الدنيا لدي نفيسة * * * وإن زخرف الغادون فيها وزبرجوا

وإن كانت الدنيا إلي حبيبة * * * فإني إلي حظي من الدين أحوج

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.
والحمد لله رب العالمين.

المعهد الوطني زانة البيضاء
الأربعاء: 16 رجب 1441هـ/ 11 مارس 2020م.



☆☆☆☆☆☆

القصائد والشهادات

العَبرات[1] والمعاني في رثاء محمد الشريف بغامي

شعر: أ. جمال زيادو

حـزن على حزن وقلـبي يقــطرُ * * * وجوانحي من لوعتها تتـفـطرُ

والعيــن باكــية الجفون كأنــها * * * منبعٌ لسـواقــي الـدمع المنــهمر

وقوافي شعري تزاحم بعضها * * * بعـضاً فتخرج من فمي تتعثرُ

بغـامي مـــات؟ أماتـت سيـــرته؟ * * * كلا لم يزل فـي قلوبنا حيا يذكر

أيموت قرص الشمـس عند غيابه؟ * * * أيموت نجم الليل حينما يتسـترُ؟

أيمـوت بذر الأرض في جوف الثرى * * * أم أنـه فـي جـوفه ينمو ويتـجذرُ

ما مات من كوّن أساتذة وأئمة * * * **في معاهد ومساجد ومحاريبَ تذكر**

ما مات من أهدى المعاهـد حياته * * * تدريسا وتسييرا وإدارة فمن ذا ينكر

فيا من يموت فينتهي تاريخــه * * * ما مــات من أبقى لنا مــنه ما يذكــر

ما مات من أعطى مثالاً يحـتذى به * * * ما مــات لَعَمْرُ الله تلميذُك يـا عــمر

ورث دردور أبا ومعلما ومناضلاً * * * ومصــلحا وأستاذاً ومربيـــا مقتـدر

تبكيـك يا بغاميُ السُحْـب بمزْنها * * * والأرض آبارٌ وعـيونٌ وأنهرُ

تبكيك يا شريف معاهدُ الجزائر كلها **** ومن أرض زانة دموع عليك تنهمر

تبكيك يا محمد العربية بشعرها ونثرها * * * أنــعم بـك من فصيح لا يتـــعثر

تبكيك الأوراس بشعابها وجبالها * * * وشلعلعُ لفـقدك صــخرُه ينحدر

إن يقبر الوطنيون في بلدانهم * * * فبغـامي وطن فأيـــن سيقبــرُ؟

---

[1] جمع عَبرة: وهي الدمعة قبل أن تسيل.

فرحمة من الإله عليك واصلة * * * ما قام طـلابُك للصلاة وكبروا

وأسأله أن يرزقك جنة الفردس في * * * مقعد صدق عنده، إنه مليك مقتدر

زانة البيضاء في: 11 مارس 2020م



✮✮✮✮✮✮

أبيات شعرية في سيرة محمد الشريف الندية
بقلم: الأستاذ عبد الحق حارش

إمام أستاذ رئيسي بالمعهد

إنا لشاكرون وإنا لجد فرحين بهذا اليوم الدراسي على شيخ فاضل ومناضل يشهد البعيد والقريب بما قدم، فرحمة الله عليه، فهو لا شك كان بحرا زاخرا وروضا ناضرا لكل من عرف سيرته وعرف جديته وعرف عمله.

هذه أبيات شعرية في سيرة محمد الشريف النبيل، كتبتها تلخص أهم المحطات في حياة هذا الشيخ الفاضل، أقول فيها:

ياسائلي عن شريف محمد ** سأهديك من سيرته بأجزاء

محمد له من اسمه مثلا ** فسل معارفه تخبّر بأنباء

محمد تربى في طفولته ** على حب دين ووطّن وعلياء

محمد من أصيل ابن مازيغ ** وفرع من سدرة الشّرفاء

محمد من سليل ابن باديس ** معلمه دردور وجمعية علماء

شريف إذا أحصيت شمائله ** خلوق ظريف من الكرماء

وإذا سألت عن تعليمه ** فهو الأصيل من زمرة النّجباء

حرب وسيف على كل تخريب ** وكل ما يأتي من الدخلاء

دار المعاهد وطاف المساجد في ** بلادي الجزائر وزانة بيضاء

يخالط النّاس كل في مكانته ** يجود بنصح وأيادي سخاء

عرّاب عربية يحب نبرتها ** يمجدها في كل وقت وأنحاء

ويفرح بكل من يفصلها ** يبجله ويعليه بعلياء

ويغرف بلسانه من كل شعر ** كأنّه فحل من الشعراء

يحب القرآن ويكرم أهله ** ويخدمهم بصدق وإعلاء

يجازيهم ويعلي شأنهمو ** ويذكر مناقبهم في كل أرجاء

لا يسأل عن أبناء معهده ** إلا عن صفاء حال وإقراء

فسل الأساتيذ عن سؤالهمو ** أفهم الطلاب أم هم في إقراء؟

وتراه في المسجد بين طلابه ** بهندام أنيق مستو ببهاء

كالبدر بين نجومه يتلألأ ** فسل عن حلقاته وعن إملاء

يغرفهم من معين ما علم ** ويهديهم بنور وأضواء

ويقسو عليهم تارة ليعلمهم ** كالأب يقسو أحيانا على أبناء

فسل التاريخ كم ربى محمد ** من جيل طلاب بل العلماء

يحب التاريخ ويجل أهله ** كلامه فيه كجنة غناء

وفي تاريخ الجزائر وطنه ** له وصل بأجداد وآباء

كم من بطولات حكاها لنا ** كأنه فيها من الشّهداء

فاسم الشهيد والمجاهد بهجته ** ويعقد أيام درس لإلقاء

يلاقي بين جيل احتلال وحرية ** ليعطي الشباب مشعل الكبراء

فكم محطات عرفنا بها ** كقصر الطير معقل السجناء

وكذا مكان تخطيط ثورتنا ** من بيت بن بولعيد سيد النقباء

وهو المتيم بحب بلاده ** يذكرها كذكر صديان لماء

وعند تداول ذكر أحوالها ** تراه مستشرفا لكل بناء

فلسطين على فيه في كل مجالسه ** قد أكلمته في مهجة بكّاء

خدوم إذا أبصرت أعماله ** مريـــد لســـنة إتقـــان وعليـــاء

يا شيخنا مارأينا منك إلا تبسما ** بعيـدا عـن كـل عـراك وشـحناء

فذي شهاداتنا فيك محمد ** فسـؤلي ربـي أنهـا مـن الشّـفعاء

وجعلك الله رفيقا لصالح ** و صــــدّيق شـــهيد وأنبيـــاء

وصـلى الله علـى النبـي وصـحبه ** وكـل مـن سـار بعلـم واقتـداء

رحم الله شيخنا، ونسأل الله عز وجل أن يشرفه بجنته، ويلهمنا السير على دربه، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

☆☆☆☆☆☆

شهادة الأستاذ ميلود قرفة

المكلّف بتسيير المعهد الوطني للتكوين المتخصص - زانة البيضاء - باتنة

مغزى تنظيم اليوم الدراسي:

الشيخ محمد الشريف بغامي رحمة الله عليه عملنا معه في هذا المعهد وجاورناه في هذه القلعة العلمية الحصينة التي شيدها أبناء هذه القرية المباركة الطيب أهلها لتكون مدرسة قرآنية، فكانت كذلك، وزادها الله رفعة وسموا وتألقا وتميزا حتى تصير معهدا وطنيا يقصده أبناء الجزائر من كل حدب وصوب ليتخرجوا أئمة تهتدي بهم الأمة إلى سواء السبيل إن شاء الله تعالى.

هذا اليوم الدراسي نظمناه للإشادة بمآثر الشيخ رحمة الله عليه وللإدلاء بالشهادات حوله بذكر مناقبه وكل ما يتعلق بشخصه الكريم، من باب الوفاء له وذكره بخير والتعريف به وبخصاله وبجهوده وبما قدمه للجزائر وأهلها باعتباره أحد إطارات وزارة الشؤون الدينية المتميزين الذين تركوا بصماتهم أينما حلوا أو ارتحلوا، متعلما ومعلما، وموظفا وناشطا في ربوع الجزائر المحروسة، ابتداء من معهد تكوين الأئمة بتمنراست وانتهاء بمعهد زانة البيضاء بباتنة، حتى وافته المنية في الصيف الماضي يوم الجمعة في الثاني عشر من شهر جويلية سنة 2019م.

فنحن نذكر مآثر المرحوم، حتى نتأسى ونقتدي، ونأخذ العبر والعظات، ونستفيد منها في حياتنا ونعلمها كذلك لأبنائنا ولإخواننا إن شاء الله تعالى.

خصال عرفناها في الفقيد:

نحن الإداريون والأساتذة والطلبة في معهد زانة عشنا معه مدة وجيزة، وعرفنا عنه الكثير الكثير.

الأستاذ محمد الشريف بغامي من خلال معرفتنا به هنا في المعهد في هاته المدة الوجيزة، عرفنا عنه الصرامة، وعرفنا عنه كذلك الجدية، وعرفنا منه الحزم، ولم يكن يتعب، ولا أكون مبالغا إذا قلت: إنه في كثير من الأحيان لم يرحم حتى نفسه، وحتى أننا لم نكن نستطيع أن نجاريه وأن نسير بسيرته، فرغم أنه كان شيخا مسنا بالنسبة إلينا، ولكني أنا شخصيا كنت أقول له: لو كنت في مثل سنك لما كنت أستطيع أن أصبر هذا الصبر. حيث إنه يكون أحيانا في حالة المرض الشديد يركب معي في السيارة وهو يئن ويعاني الحُمَّى الشديدة

والإرهاق والتعب، ومع ذلك منذ أن يخرج في الصباح وهو يسعى من أجل مصلحة المعهد حتى يعود في الليل إليه.

وبطبيعة الحال فإن الذين يحملون هَمًّا ورسالة في هذه الحياة يقدرون مواقفه ويحبونه ويأنسون إليه ويعملون معه، ولكن الذين ليس لديهم رسالة في هذه الحياة لا يحبونه، بل يكرهونه فعلا.

والذين عملوا معه، سواء الأئمة أو الإداريون أو الأساتذة أو الطلبة هم فريقان: محب له لأنه يريده ويريد أن يكون مثله. ومبغض له لأنه يشدد عليه. فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمه ويغفر له وأن يسكنه فسيح جنانه.

من كان وراء تعيين المرحوم مديرا لمعهد زانة؟

الفضل أولا وأخير لله سبحانه وتعالى، ثم للأستاذ محمد مسعي في تولي الأستاذ محمد الشريف بغامي إدارة معهد زانة أولاد سباع، ففي صائفة جويلية 2010، كنت مع الأستاذ مسعي في وزارة الشؤون الدينية في مكتب مدير التكوين وتحسين المستوى الأستاذ سعيد معول، فسأل هذا الأخير الأستاذ محمد مسعي: من يتولى إدارة معهد باتنة؟ فقال الأستاذ محمد مسعي: الأستاذ محمد الشريف بغامي. وأكد ترشيحه بقوله: ذلك المعهد لا يقدر عليه سوى الأستاذ محمد الشريف بغامي. والمقصود بهذا؛ أن المعهد كان مدرسة قرآنية ويفتقر إلى كثير من المرافق، التي اكتملت الآن كلها، وهي بصمات الشيخ رحمة الله عليه، الذي استطاع - بفضل الله سبحانه وتعالى، وبفضل تفانيه وجِدِّه واجتهاده وعمله ليلا ونهارا – أن يحقق هذه النتائج. وقد جند العمال، الذين عملوا متطوعين قبل أن يرسموا في 2014، لأن المعهد فتح في 2011 واستقبل الدفعة الأولى من الطلبة سنة 2012، فكان يصر عليهم ويلح عليهم أن يعملوا، وكانوا جادين ومجتهدين، والفضل لله أولا وأخيرا.

فالأستاذ محمد مسعي، كان الفضل لله أولا ثم إليه، لأنه أرشد الإدارة الوصية إلى أن يكلفوا الأستاذ محمد الشريف بغامي، وكان جواب الأستاذ سعيد معول: فليكتب طلبا وأنا أرفعه إلى الوزير أبو عبدالله غلام الله. وكان الأمر كذلك.

وأؤكد هنا أن الأستاذ محمد الشريف بغامي حُمِّل مسؤولية عظيمة بإدارة المعهد، وكان كلما جاءه الزوار إلا ويطلب منهم الإعانة المالية للمعهد، وقال بصراحة: أنا عندي النيف، لا أطلب لنفسي شيئا، لكني أطلب للمعهد.

محاولتي كتابة سيرة الفقيد في حياته:

عندما كنت طالبا في جامعة باتنة، كلفني الأستاذ الدكتور أحمد عيساوي والدكتور عبد الباسط دردور بجمع مادة علمية حول سيرة الأستاذ بغامي بصفتي محتكا به، لأنهما عازمان على إخراج كتاب حول أعلام الأوراس، وقد قمت بمحاولات عديدة مع الأستاذ محمد الشريف بغامي، ولكنه لم يكن سهلا، لارتباطاته الكثيرة واشنغالاته المتعددة، حيث كنت دائما أتخير له الأوقات حتى آخذ منه تصريحات أسجلها وأكتبها، لكني لم أستطع، فأحيانا أشفق عليه حيث يكون متعبا، وفي مرة تحايلت عليه وأخذته إلى غرفتي، أردت أن أدخله إلى مكتبه فلم أستطع، ولذلك رافقته إلى بيته، فلما أراد أن يدخل بيته تحايلت عليه وأدخلته إلى غرفتي، وشيئا فشيئا أخذت منه بعض النتف حتى أسهم بها مع الأستاذين، لكي يقوما بتوثيق حول هاته الشخصية في حياته، حدث هذا منذ سنتين وربما أكثر من سنتين.

وقد كتبت في سيرته شيئا بسيطا قرأته عليه، فنقح وصحح فيه، ولكنه شيء بسيط جدا.

آثاره المكتوبة:

نحن نسعى – بإذن الله تعالى – مع أهله وذويه، نلح عليهم في أن يزودونا ببعض ما كتب، وهو شخصيا لما كلمته في غرفتي وسألته: هل لديك كتابات أو مقالات؟ فقال لي: كتبت حاجات (تواضعا منه)، فطلبت منه أن يزودني بها، فقال لي: سأزودك إن شاء الله.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

✯✯✯✯✯✯

شهادة الأستاذ أحمد ظريف

ممثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بولاية سطيف

نقف في هذا اليوم المبارك وفي هذا المكان الطاهر، العامر بفضل ثم بفضل عباده الذين اصطفاهم لخدمة العباد ونفع البلاد، لنتذكر الرجل الطاهر الذي له الأفضال الكبيرة والأيادي البيضاء والآثار الطيبة في كل جانب من جوانب الحياة العامرة بالصلاح والإصلاح، ذلكم الرجل الطيب الأستاذ سي محمد الشريف بغامي رحمه الله، الناصح الأمين والوطني الصادق المخلص، الذي كانت حياته عامرة بالخير والنفع والنصح.

عمل ناصحا وربى مخلصا، تربية أنتجت جموعا من المؤمنين الصادقين في حياتهم ورثوا عنه الجدية والإخلاص والإتقان، وبذلك فهو حي بما ربى ونصح وأصلح، وبما هو مذكور في محافل العلم، وبكثير من المحاضرات العلمية التي كان يلقيها في المساجد والنوادي والمؤسسات التربوية باستمرار والتي لم تكن تنقطع.

ونقول لشيخنا سي محمد الشريف: نم هادئا هانئا في مستقر الرحمة، بما قدمت يداك تدريبا وتربية، وبما تخرج على يديك من معلمين ثابتين على عهدك بالنفع والنصح، وهذا ما يعزينا، فأنت حاضر بيننا بذكرك وأعمالك، فحيثما يممنا وجوهنا تصافحنا هذه الأعمال وهذه الجهود.

لقد كنت النموذج الذي يُحتذى والمثال الذي يُقتدى، فرحمك الله برحماته، وحفظ أبناءك البررة ونفعهم ونفع بهم بصلاحك وإصلاحك.

✯✯✯✯✯✯

شهادة الأستاذ حسان سنوسي

إمام معتمد بدائرة تازولت – ولاية باتنة

تحدث الإخوة عن حبهم للشيخ وحب الشيخ للعلماء، ولكن أقول لكم: إن العلماء كانوا يحبونه، وهذه شهادة لله أقولها: إن لجنة الفتوى وإصلاح ذات البين لولاية باتنة كان يرأسها الشيخ عمر دردور رحمه الله، وكان الشيخ محمد الشريف يجالسهم، فلما غاب يوما قال فيه الشيخ عمر دردور كلمة أذكرها شهادة لله، قال: إن الشيخ محمد الشريف بغامي كالملح في الطعام، وإن غاب الملح عن الطعام فكيف يكون طعم الطعام؟

كذلك الشيخ الغزالي بن دعاس رحمه الله قال: إن كان هناك رجل لا بد أن يُقتدى به فليُقتد بالشيخ محمد الشريف بغامي.

والشيخ محمد بلمكي رحمه الله قال كلاما آخر، قال: ما رأيت رجلا مجدا ومجتهدا مثل الشيخ بغامي في هذا العصر.

وقد سمعت منهم الكثير.

إن هذا الرجل الذي كان يظهر بأناقة متميزة، كان متعففا ولم يكن يمد يده لأحد تحت أي ظرف، لقد ظلم يوما وأوقف راتبه ولم يكن يملك قوت يومه، وكان عيد الأضحى على الأبواب، فقلت له: كيف ستفعل مع العيد يا شيخ؟ فقال: سأطلب من جزار أن يسلفني رجل لحم. فرغم أنه لم يكن عنده مال لم يفكر أن يمد يده لأحد، ولذلك أخبرت بعض أهل الإحسان فجاؤوه بخروف إلى البيت دون أن يدري، فلما عرف أني كنت سبب ذلك قال: والله لو علمت أنك ستفعل ذلك ما أخبرتك.

هذا شيء قليل من كثير مما عرفته عن هذا الشيخ الفاضل فرحمة الله عليه.

✯✯✯✯✯✯

شهادة الأستاذ معمر سايحي

أستاذ متقاعد من معهد سيدي عقبة

مما أذكره للشيخ رحمه الله عندما كان في معهد سيدي عقبة؛ أنه كان يقضي اليوم والليلة بأكملهما في مكتبه، فكان يحضر إلى صلاة الصبح في مصلى المعهد من المكتب ويعود بعد الصلاة إلى مكتبه، وقد تنقضي الليلة والليلتان دون أن يدخل بيته.

فهذه شهادة لله؛ كان متفانيا في عمله ومهملا لحقه وحق أسرته.

كما أن الشيخ كان له أسلوبان في التقويم، حيث كان يحضر معنا في الأقسام الدروس ليتابع، سواء أداء الأستاذ أو مدى استيعاب الطلبة، فكان إذا أعجبه الدرس وأعجب بمشاركة الطلبة يردد هذه العبارة التي حفظناها عنه ونعرف منها أنه راض: هكذا يتُّوسَمَّا آالشيخ. وإذا كان العكس، أي لم يرض، يقول: ما كانش آالشيخ.

فرحم الله الأستاذ ورضي عنه وأرضاه.



شهادة السيد الشافعي بغامي

شقيق المرحوم

أشكر أساتذتنا المحترمين والجمع الكريم على تلبية الدعوة، والشكر الجزيل لإدارة المعهد على تنظيم هذا اليوم الدراسي حول حياة المرحوم، وإن كان ما قاله الأساتذة قليلا، فمناقب الشيخ كبيرة جدا.

أذكر هنا، أنه حدثني في يوم من الأيام عن اجتهاده في تعلمه وعمله وهو في مرحة المتوسطة في الدائرة الأم أريس، وكان آنذاك ضمن ثلاثة أو أربعة طلبة استأجروا غرفة في دشرة بجوار أريس، ولم تكن هناك كهرباء، فلما جاءت فترة الامتحانات لم يكن عندهم نقود كافية ليشتروا بها الشمع ليقرأوا ويراجعوا دروسهم، ولم يكونوا يملكون سوى 50 دورو، أي دينارين ونصف، والتي كانت تشمل مصروف الحافلة (ثمن التذكرة) التي سيعودون بها إلى بيوتهم في العطلة. ولذلك، فحفاظا على هذا المبلغ أن يُصرف على الشمع كانوا يخرجون إلى الشارع ويراجعون دروسهم تحت ضوء الإنارة العمومية، ويبقون على ذلك حتى الساعة الثالثة صباحا في الشتاء القارس. وهذا ما حدثني به بنفسه.

هذه شهادة، وهناك الكثير من الشهادات، ولا يتسع الوقت لذكرها.

✯✯✯✯✯✯

شهادة الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي[1]

عرفت الأخ الكريم والصديق العزيز الأستاذ محمد الشريف بغامي منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما، عرفته وهو فارس الندوات وفارس المحاضرات، وكان دائم الحضور في كل المناسبات، وكان له دائما نشاط ومشاركات في مختلف التظاهرات العلمية والثقافية، إما محاضرا أو متدخلا أو معقبا أو مناقشا.

فالرجل كان له اهتمام كبير بتاريخ الجزائر بصفة خاصة، وتاريخ وأعلام وأبطال ورجال منطقة الأوراس بصفة أخص، فكان له نشاط حثيث في هذا الإطار.

وقد عرفناه متميزا بثقافته الغريزة وبمعلوماته الكثيرة التي كان ينثرها في مختلف المناسبات.

عرفنا فيه الأخ الكريم والصديق العزيز والرجل المتواضع والعالم ذي الثقافة الموسوعية الغزيرة.

عرفنا فيه الصدق والإخلاص والجدية والانضباط.

عرفنا فيه كل الخصال الحميدة.

وعندما فقدناه تألمنا لفقده، ولكن قضاء الله غالب، فهو الذي يقدر ما يريد ويفعل ما يشاء.

رحم الله أخانا الشيخ محمد الشريف وأسكنه فسيح جناته.

☆☆☆☆☆☆

---

[1] سجلها الأستاذ مصطفى عاشوري على هامش اليوم الدراسي.

شهادة الأستاذ عبد المؤمن رحماني[1]

الأخ محمد الشريف بغامي عرفته في سنوات المثانينات بجامعة باتنة، عشنا معه مدة زمنية غير قصيرة، رأينا منه ما كان يتصف به من صفات خُلُقية قل نظيرها في غيره. ومع هذه الصفات كان رجلا شديد التوق للمعرفة، شديد الالتزام بما يتعقل بالدين، وشديد التمسك بلغته العربية الفصيحة في خطبه وفي دروسه وفي قلاءاته حتى مع أبسط الناس.

☆☆☆☆☆☆

[1] سجلها الأستاذ مصطفى عاشوري على هامش اليوم الدراسي.

شهادة الدكتور ياسين بغامي[1]

الشيخ محمد الشريف كان يحب الفن بكل أشكاله.

أتذكر أنه مرة أراد أن يصنع له اللحام بابا حديديا، فقال له: أريدك أن تعطي للباب مسحة فنية.

كان الشيخ محمد الشريف فنانا في لباسه، فنانا في كلامه، فنانا في مظهره، فنانا في معاملاته مع الناس.

وأنا أتذكر أن سي محمد الشريف ما حضر مجلسا لإصلاح ذات البين، إلا وكان مىل هذا المجلس النجاح.

☆☆☆☆☆☆

---

[1] سجلها الأستاذ مصطفى عاشوري على هامش اليوم الدراسي.

شهادة الأستاذ محمد مسعي[1]

عرفتُ الأستاذ الفاضل محمد الشريف بغامي في أواخر سنة 1987، حيث كلف بتسيير معهد سيدي عقبة خلفا للشيخ عمر دردور، ورشحني أنا لأكون مدير الدراسات، حيث حضر لي درسين وأعجب بطريقتي في التدريس وبلغتي السليمة، فرشحني، ومنذ ذلك الحين وأنا في الإدارة إلى أن تقاعدت. ومع أني عملت معه في سيدي عقبة فقط، إلا أننا بقينا على تواصل طوال أكثر من ثلاث وثلاثين سنة.

الرجل متعدد الكفاءات والاختصاصات، رجل مثقف من الطراز الأول، رجل مصلح، اجتماعي، مبادر في كل شأن خيري إصلاحي، ينفق من عظمه وشحمه في سبيل المصلحة العامة، ويركز على التاريخ الوطني، و"حب الوطن من الإيمان" كما قال الإمام عبد الحميد ابن باديس، فهو باديسي إصلاحي بهذا المنحى.. كان دائما يطمح إلى تغيير المجتمع بالقرآن الكريم والسنة النبوية وتراثنا العربي الإسلامي، ولا يزيغ عن هذا أبدا.

وقد كنت أنا من اقترحه لإدارة معهد زانة، حيث كنت مع مدير التكوين وتحسين المستوى في مقر وزارة الشؤون الدينية الأستاذ سعيد معول، فقال: نحن الآن سنفتح معهدا جديدا في ضواحي سريانة، فمن تقترح لإدارته؟ لم يخطر على بالي أحد سوى الشيخ محمد الشريف بغامي، حيث اقترحته مباشرة باعتباره الرجل المؤهل لفتح المعهد، وفعلا تم اقتراحه لمعالي الوزير فوافق عليه. وقد بذل مجهودات مضنية، حيث أنفق ليله ونهاره في سبيل تحويل هذه المدرسة القرآنية إلى معهد عال يشع بالثقافة والعلم والوطنية الصادقة.

والحق أنه كان يستحق منصبا أكثر من هذا، وقد اقتُرح مرتين لمنصب مدير الشؤون الدينية والأوقاف في ولاية من الولايات، ولكن الحُساد وأصحاب المصالح حالوا دون ذلك. وكان رحمه الله يطمح إلى أن يكون مسؤولا مركزيا في الوزارة، ليصلح من حالها ويُحَسِّنَ أداءها، وكان له برنامج لتحقيق ذلك، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

✯✯✯✯✯✯

---

[1] سجلها الأستاذ مصطفى عاشوري على هامش اليوم الدراسي.

مقالات وشهادات
وردت بعد الإعلان عن الكتاب

من خصال الشيخ محمد الشريف بغامي

بقلم: الأستاذ حليم بوخالفة
إمام أستاذ وأستاذ مساعد متعاقد بمعهد زانة البيضاء

هذه وقفات لي مع الشيخ بغامي خلال تدريسي بالمعهد (خمس سنوات)، هي عبارة عن نقاط متفرقة:

النقطة الأولى التي عرفت بها أستاذنا المرحوم، هي **الصرامة الشديدة وتمسكه بالانضباط**، سواء كان هذا الانضباط يخص تعاليم الدين، أو تعليمات المؤسسة، وكان الشيخ يسعى جاهدا لأن تطبق هذه التعاليم والتعليمات على أكمل وجه، وسأضرب مثالا عن هذه القواعد:

1- فمن حيث تعاليم الدين، كان الشيخ يهتم بمواقيت الصلاة وخاصة الصبح، يوقظ بشكل دوري طلبة المعهد لها، ويطوف بمراقدهم ليحثهم على القيام لها مع الأذان الأول، ولكنه كان يجمع مع هذه الصرامة الشديدة أسلوب الرفق فكان يستخدم عبارة (يا ولدي) ليستشعر الطالب الخيرية الموجودة في قلب المدير، حتى إن بعض الطلبة كان يفتخر بأن المدير لم يدركه نائما في مكان سريره طيلة فترة تكوينه بالمعهد لمدة ثلاث سنوات.

2- صرامته في الهندام، فقد كان الشيخ رحمه الله يراقب كل الموجودين بالمعهد طلبة وعمالا وحتى أساتذة، وكنا نتحدث نحن الأساتذة وأتحدث أنا شخصيا مع بعض الطلبة - بحكم أنهم كانوا طلبة عندي في المدرسة القرآنية قبل أن يلتحقوا بالمعهد - نتحدث عن مراقبة المدير لتفاصيل هندام الطلبة والأساتذة والعمال، وأنه كان يفرّق في أسلوب التعامل مع الهندام، فكان يشدد على الطالب حتى أمام زملائه، أو أمام الأساتذة والمراقبين، وينكر كثيرا عدم وضع الطالب للطاقية على رأسه، وقد ينكر أيضا المبالغة في رفع القميص لأنه يراه مخالفا لما اعتاده اللباس الجزائري، ومن هذا المنطلق كان ينكر على السلفيين هندامهم السعودي، وكان يحثهم على اللباس الجزائري، ويسميه باسمه البرنوس وقندورة عرب ... الخ

3- صرامته مع الأساتذة، كان الأستاذ رحمه الله يتابع حتى الأساتذة في لباسهم، وكان يشدد على ارتدائهم المآزر وحسن الاعتناء بمظهرها، وبالمظهر

الخارجي عموما، ولكنه كان يختار أسلوب النصيحة مع الأستاذ وجها لوجه وبصوت خافت أحيانا.

ومع هذا كله كان هو من أشد الناس اعتناء بثوبه، فما ظهر يوما في المعهد إلا بلباسه الإداري، ومساء بالقميص الجزائري الذي كان يوصي به طلبة المعهد.

4- صرامته في تطبيق التعليمات الإدارية، وهذه المحطات التي حضرتها أكثر من أن تحصر، وأضرب لذلك أمثلة، فقد كان يشدد على حضور الطلبة والتحاقهم بالمعهد في الوقت القانوني، وكذا خروجهم في الوقت القانوني، وضرورة إحضار كل غائب - أستاذا كان أو طالبا - لمبرر غيابه، ويشدد أن تكون الرخصة الطبية ممضية من طرف التأمينات، ورغم أنه كان يتساهل أحيانا مع الطلبة، إلا أنه إن رأى الأمور ستنفلت وسيعم التسيب في المعهد يبادر إلى العقوبات، وكثيرا ما يتمثل بهذا البيت الشعري لمحمد العيد آل خليفة، ويسميه ويفتخر به:

ومن مواطن ضعف المرء طيبته * فلا تكن طيبا إلا بمقدار

النقطة الثانية: حرصه على تكوين الطلبة: كانت للشيخ مواقف تحسب له في تكوين الطالب، فمع حرصه على تلقي الطالب للمعلومات العلمية في المواد المقررة، فقد كان يذكر الأساتذة دوما بضرورة إنهاء المقرر الدراسي بأكمله وعلى أكمل وجه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان يمتعض من غياب الأستاذ عن حصصه المقررة، بل ربما يؤنب ويعاتب لأجل ذلك، وكان يتخلى أحيانا عن واجباته الإدارية ليتطوع مدرسا للطلبة ويلتحق بالقسم الذي غاب عنه الأستاذ، فيسأل الطلاب عن الحصة والأستاذ ليتأكد ثم يقدم درسه ارتجاليا، وكان يختار غالبا مادة التاريخ أو الخطابة، وبحكم تخصصه اللغوي وعمله الميداني الإسلامي، بالإضافة إلى اطلاعه الواسع في التاريخ الجزائري، فقد كان يبدع أيما إبداع في هذه الدروس المرتجلة، خطابة وتأريخا.

ومن حرصه على التكوين:

1- متابعته الشخصية للطلبة في التكوين، (الحزب الراتب، الدرس المسجدي للطلاب في مسجد زانة أولاد سباع، رسالة التخرج). ففي كل مساء - ما عدا الخميس والجمعة - بعد صلاة المغرب وبعد وجبة عشاء الطلبة، يكلف المدير مراقب الطلبة ليحضر حلقة الحزب الراتب للطلبة، وقد يحضر له المدير شخصيا منذ انطلاقه، وهذا نادر لارتباط المدير بالأعمال الإدارية والتي كان

يسهر لها غالبا إلى منتصف الليل حتى عوتب لأجل ذلك مرارا من طرف الأستاذ ميلود قرفة.

فإن لم يلتحق في البداية التحق عند قرب ختم الحزب الراتب أي قبل أذان العشاء أو بين الأذان والإقامة.

كان الشيخ يراقب طلبته في الحزب وعددهم يفوق المائة، فإذا أكملوا قراءته وجه إليهم توجيهاته وتصويباته، وربما انتقاداته، فقد كان يمتعض من التصرفات المخلة بقراءة الحزب الراتب، ككثرة حديث الطلبة إلى زملائهم، أو تأخرهم عن الالتحاق به، أو امتناع بعض الطلبة عن قراءته وخاصة من يقلد أقوال العلماء الذين يرون بدعيته.

2- الدروس المسجدية للطلبة: سنّ الشيخ محمد الشريف بغامي رحمه الله قانونا داخليا للطلبة يوجب عليهم القيام بوظائف مسجد قرية زانة أولاد سباع، أذانا وإقامة وصلوات وحتى دروسا يومية ودرس وخطبة الجمعة، وقد كان لهذا القانون الأثر البالغ في تخرج الطلبة بمستوى لا بأس به، وكنت ألاحظ الفرق الواسع بين طالب يتخرج من معهد آخر وبين طلبة هذا المعهد، وكلف المدير بتوزيع الدروس اليومية على قائمة الطلبة الموجودين بالمعهد باستثناء طلبة السنة الأولى، لأنهم حديثو عهد بالمعهد، وكان الطلبة يقدمون دروسهم اليومية لمدة عشرين دقيقة أو نصف ساعة، وكان الشيخ يسجل ملاحظاته ذهنيا دون ورقة أو قلم، وعند انتهاء الطالب من تقديم الدرس، يقوم المدير بنفسه فيتقدم صفوف الطلبة في المسجد ومعهم سكان المنطقة، فيعلق على درسه ناصحا موجها، ويبدي إعجابه خاصة بالذي يعتني بدرسه (هنداما وتحضيرا)، وقد يعتب على المهمل، ولكن بأسلوب سلس مرن، والغرض منه ذم التكاسل والتغافل.

3- حضوره درس وخطبة الجمعة التي يقيمها طالبان من المعهد، فقد كان الشيخ يحضر بصفة مستمرة صلاة الجمعة وخطبتها ودرسها بمسجد قرية زانة أولاد سباع، وكان يلاحظ ويتتبع الطالبين الذين كلفا بهذه المهمة، ويؤخر تقديم النصائح والتوجيهات لهما إلى قدوم جميع الطلبة يوم السبت مساء، ومرة أخرى يستحضر هذه الخطبة والدرس بالتفاصيل والجزئيات، ويقدمها على شكل قواعد، فينصح الطلبة باتباع الإيجابيات وتجنب السلبيات.

4- حضوره إلى جلسة مناقشة المذكرات: فقد كان الشيخ رحمه الله، يواظب لى حضور جلسات مناقشة رسائل التخرج بنفسه، والتي كانت تقام كلها بشكل جماعي، في مكتبة المعهد، وكان يتدخل أحيانا ليبدي رأيه.

هذه هي المحطات الكبرى في مسيرة تكوين الطلبة التي كان الشيخ رحمه الله يعتني بها ويوليها اهتمامه حتى على حساب بعض الأمور الإدارية، نظرا لما لها من فوائد جمة تعود بنفعها على أئمة المستقبل.

وبالإضافة إلى هذه المحطات الكبرى كان الشيخ يتفقد بنفسه أحيانا أقسام الطلبة ويحضر الدروس المقدمة لهم، وربما اطلع على دفاتر المواد لدى الطلبة مثنيا أو معاتبا.

النقطة الثالثة: تشجيع الشيخ للمبادرات الخيرية: عرف الشيخ بفتحه المجال للمبادرات الخيرية التطوعية للمعهد، وكان يشجع الطلبة والأساتذة على الاتصال بالمحسنين لتزويد المعهد بالمستلزمات الغذائية أو المعدات والتجهيزات، وقد تفاعل معه بعض الطلبة الذين فهموا رسالة الشيخ، وتطوع بعض رجال الأعمال من ولاية باتنة وولاية سطيف (عين ولمان) ولم يقطعوا خيرهم عن المعهد إلى آخر رمق من حياة الشيخ رحمه الله.

وكان يذكر الشيخ في مجلسه أحيانا بعض الطلبة الذين ساهموا في الاتصال بالمحسنين، ويذكر النفع الذي عادت به هذه المساهمات كتحسين التدفئة الغازية للطلبة كون المعهد لم يرتبط بأنبوب الغاز، فهو في منطقة نائية، ويحتاج أموالا تطوعية في فصل الشتاء لملئ صهريجه الذي يكلف أسبوعيا مبلغ عشرة آلاف دينار جزائري.

كما ساهم فتح المجال التطوعي في تحسين الوجبة الغذائية للطلبة بفضل الله ثم بفضل تطوع المحسنين بالمستلزمات الغذائية.. وهكذا حرص الشيخ على نفع المعهد وطلبته بفتح المجال التطوعي.

بل كان الشيخ يستشهد بمنافع العمل التطوعي في إبان الثورة الجزائرية.

النقطة الرابعة: استجابته للدعوات للأنشطة المسجدية: كان الشيخ رحمه الله إلى آخر أيام مرضه يستجيب للدعوات التي توجه له من قبل الطلبة المتخرجين من المعهد والذين وظفوا في مساجد شتى، وكان يلقي فيها دروسا في المناسبات الدينية والوطنية، وربما ألقى محاضرات تفوق مدتها الساعة، وقد سُجلت له بعض المحاضرات على موقع اليوتيوب.

☆☆☆☆☆☆

أيام مع الأستاذ محمد الشريف بغامي
بقلم: الأستاذ سمير دريع

عندما التحقت بمعهد سيدي عبد الرحمن اليلولي سنة 1991، كان المعهد يعيش أسوء الظروف وبلغت الفوضى والتسيب أقصى مداها، يكفي أن أذكر أن القسم إذا دخلته فإنك لن تجد أكثر من بضعة طلبة... وإذا طلبت شهادة عمل فإنه يلزمك أن تنتظر أسبوعا حتى تتحصل عليها.. وأذكر أن تاريخ التنصيب كان في 1991/12/01.. بقيت بدون راتب ولم تُسَوَّ وضعيتي إلى غاية أوت 1992..

في وسط هذا الركام من الفساد والفوضى التحق الأستاذ محمد الشريف بغامي.. كان مرتبي في ذلك الوقت لا يزيد على 4670.00 دج.. ثم أصبح 5001.00دج.. كانت الحقوق مهضومة: المنح – المردودية... إلى آخره.

أذكر أننا طلبنا منه اجتماعا عاجلا للنظر في هذه القضايا وغيرها من المشاكل.. وبالفعل انعقد الإجتماع ووعدنا بحلها.. أذكر ان أحد الموظفين قال: لا نستطيع أن نفعل شيئا دون أمر من الوزارة.. لكن السيد محمد الشريف بغامي قال قولته المشهورة وما زلنا نحفظها إلى الآن: هذه الحقوق نص عليها القانون، فلماذا ننتظر الوزارة حتى تأمرنا بذلك؟؟

استعمل الأستاذ محمد الشريف بغامي شيئا من الصرامة في ضبط الأمور، وشهادة العمل التي كنا ننتظرها أسبوعا أصبحنا نتحصل عليها خلال دقائق معدودات.. وتحسنت نوعية الأكل وظروف إقامة الطلبة.. وكنت معه يوما حين حدثني عن نيته في إقامة جسر بين المراقد والمسجد.. واستُثمرت الحافلة لأول مرة لتنقل الطلبة من المعهد إلى مدينة اعزازقة..

استطاع الأستاذ محمد الشريف بغامي أن يندمج مع الوسط هناك؛ ففي حفل التخرج وجدنا رئيس دائرة بوزقن ورئيس بلدية أيلولة ومسؤولي الشرطة والدرك ومدراء الثانويات والمتوسطات... إلى آخره.

لكنني أصدقكم القول أنني كنت أراقب هذه الإنجازات بشيء من الخوف والقلق.. إن الحماس الذي ظهر به الأستاذ محمد الشريف بغامي في أحد محاضراته جعلني أشعر أن هذه النعمة لن تدوم.. وصدق حدسي..

فما هي إلا أيام حتى أقيل الرجل من منصبه، وعين مكانه مديرآخر..

خسر المعهد الكثير بعد رحيله.. وعاش أصعب مرحلة كادت أن تؤدي إلى غلقه..!!

رحم الله الأستاذ محمد الشريف بغامي وأسكنه فسيح جناته.

☆☆☆☆☆☆

الأيام الأخيرة في حياة الأستاذ محمد الشريف بغامي

د. عبد الحق مواقي
طبيب في المستشفى الجامعي - باتنة

مقدمة

الكتابة في حضرة الشيخ الأستاذ الفاضل والمربي اللامع الشيخ محمد الشريف بغامي مهمة صعبة، يكاد يكون فيها المرء "كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ"، فكيف بالكتابة عن هذه الشخصية المتميزة، والأكثر إيلاما من ذلك وشدة، الكتابة عن ساعاته الأخيرة أو أيامه الأخيرة في هذه الدنيا قبل أن يلاقى ربه طاهرا محتسبا ويبعثه إلى جنات الخلد بإذن الله.

فالموت، جانب من الحياة الدنيا وجزء مكمل لها، ولا وجود لحياة من دون موت، لكن مرارتها تجعل الناس ينفرون منها أو حتى يرفضون الخوض فيها، وقد وصف الرسول ﷺ الموت بأنه "هادم اللذات"، واتفق الناس أن يسارعوا في أن تكتمل لديهم كل الأشياء والبرامج والمشاريع إلا هذه الثنائية التي تجمع الموت – الحياة. فالكل يتمنى ألا تكتمل، لكنها تكتمل لا محالة، وتلك سنة الله في خلقه الذي يقول: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ" (سورة الملك، الآية 2).

بيني وبين الشيخ محمد الشريف بغامي

تعرفت على الشيخ محمد الشريف بغامي منذ سنوات خلت ليست بالكثيرة إلا أنها كانت كافية أن تجعلني أنبهر بطيبة هذا الرجل المتميز، فقد كانت بيننا لطائف كلما التقينا بين الفينة والأخرى، وهذه اللقاءات التي عادة ما تكون في مناسبات وطنية أو دينية يكون أحدنا أو كلانا من المحاضرين فيها أو المشاركين بالنظر لانشغال كل واحد منا في معركته مع الحياة، فكان يمزج بين الحزم والتواضع وبين الشدة واللين، وكان في كل ذلك رجلا مثقفا ومصلحا عارفا بأمور الدين والدنيا ومحاورا مقنعا، وكان رحمه الله تعالى يلقاك دوما بوجهه الطلق الباسم وكلامه الممتع، وكانت مجالسه الممتعة وأحاديثه العذبة تطرد الهموم وتداوي الكلوم.

بداية العد العكسي

في صبيحة يوم 5 ماي 2019م، كنا - نحن الاطباء – كما جرت العادة، على موعد مع الاجتماع اليومي الصباحي الذي يستعرض فيه طبيب المناوبة

تقريرا على كل نشاطاته الطبية وتدخلاته وكشوفاته خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، وهي عادة معروفة ومعمول بها في كل المصالح والأقسام الطبية بالمستشفيات.

كانت الطبيبة التي قضت الليلة الماضية بالمداومة، تستعرض أسماء المرضى الذين تم استشفاؤهم ونتائج الفحوصات والتحاليل التي أجريت لهم، وكذا تقييما للحالات الواحدة تلو الأخرى، وكم كان وقع اسم الشيخ محمد الشريف بغامي الذي انساب من بين شفتيى الطبيبة مؤلما حين مرّ على مسمعي كالصاعقة، وراحت الطبيبة تسرد كل ما يتعلق بالحالة الصحية للشيخ بغامي، ففي الأيام التي سبقت، أصيب بوعكة صحية ظن في البداية أنها مجرد أمر عابر بالنظر الى المجهودات الكبيرة التي كان يبذلها فانتابه بعض الوهن والضعف، ولم يعط للأمر الكثير من الاهتمام، إلى أن تفاقمت الحالة ما أجبره على التقرب من المستشفى ليلا طلبا للفحص بقسم الاستعجالات الطبية، لكن الطبيب أصر على استشفائه، لأن حالته كانت تتطلب البقاء تحت المراقبة الطبية لفترة ستحدد لاحقا بعد إجراء التحاليل والأشعة التي لم يكن بالإمكان القيام بها في تلك الليلة، وبعد ذلك تم نقله إلى أحد الأقسام لمواصلة الفحوصات والتطبب.

بعد ساعة من الزمن انفض الإجتماع، فتوجهت مباشرة الى الغرفة التي يرقد فيها الشيخ بغامي واقتربت منه، وبعد أن قدمت نفسي لنجله الذي كان معه طوال الليلة الماضية، ومسكت بيد الشيخ بغامي، كان الابن يهمس في أذن الوالد "هل عرفته يا أبي؟" فأجاب الشيخ بغامي بحركة من رأسه أنه لم يعرفني، وهو محق في ذلك إلى أبعد الحدود، فبالإضافة الى حالته الصحية، فهو لم يكن قد رآني قط بلباس العمل "المئزر الأبيض" أو السماعة من قبل، ولما عرفني شدّ على يدي كثيرا وحاول جاهدا الاعتدال على سريره ليسلم عليّ، إلا أني انحنيت وسلمت عليه ورجوته أن لا يفعل ويبقى مكانه، حتى لا أجهده أكثر.

في الأيام التي تلت مكوث الشيخ بغامي بالمستشفى، استقرت حالته الصحية بعض الشيء، وصار أحسن بقليل من ذي قبل، واستعاد بعضا من نشاطه ونضارته، وراح يبحث ويسأل عن حالته ويستفسر أبناءه الذين كانوا معه والأطباء الذين يتابعون حالته، عن وضعه الصحي وموعد خروجه من المستشفى.

مرت الايام وكأنها سنوات بطيئة جدا خاصة بعد أن بدأت بعض الأعراض الأخرى للمرض تظهر جلية عليه وتؤكدها التحاليل والأشعة التي كنا نقوم بها يوميا لمتابعة حالته الصحية.

التشخيص الصاعقة

اغرورقت عيناي بالدموع وأنا اقرأ تقرير الطبيب عن حقيقة المرض الذي كان ينخر جسده الضعيف والذي أثبتته الأشعة والتحاليل، ولم يكن يلقي له بالا، وكم كانت المهمة صعبة أن أخبر ابنه الذي كان يلازمه طوال فترة استشفائه بالقسم بتلك الحقيقة المرة، ولكن لم يكن بأيدينا بد من فعل ذلك، فوقع الخبر عليه كما وقع علينا قبله كالصاعقة، وراح بعدها في نوبة من البكاء.

كان حال القسم الذي يرقد فيه الشيخ بغامي كخلية نحل، حين تحل ساعة زيارة المرضى فتمتلئ الصالة بالوافدين والزائرين الذي جاؤوا من كل حدب وصوب، حتى أضحى المكان يضيق بالزائرين رغم رحابته، فيضطر البعض إلى الوقوف طويلا بالرواق في انتظار خروج بعض من كانت بداخل الصالة للظفر بحديث أو ابتسامة من الشيخ، وهنا شاهدت دلائل التأثر الكبير بمصاب الشيخ محمد الشريف بغامي بادية على وجوه زائريه، ولمحت الدموع تنحدر من مآقي البعض، وكثيرا ما ارتفعت أصواتهم بالدعاء له بالسلامة وطول العمر.

وكان هو، ورغم علامات المرض والوهن البادية على محياه، يحادث كل زائريه محاولا التغلب على الحالة الصحية التي كان عليها، مبستما مرة ومحييا مرة وهامسا في أذن البعض الآخر مرات عدة، غير أن الابتسامة لم تكن تفارقه، وهكذا تجلت لي مكانة الرجل ومقدرته على جلب النفوس وتحبيبها إليه، كيف لا وهو الذي كان المصحف لا يفارقه أبدا حتى وهو على فراش المرض.

استمرت صحة الأستاذ بغامي في التدني باستمرار، يفقد الوعي مرة ثم يعود إلى وعيه لدقائق، وكان لا يستطيع أن يتناول كأس الماء ويحتسي رشفة منه إلا بمساعدة نجله، وبالرغم من كل ذلك كان صبورا، متماسكا، قويا ومحتسبا لله سبحانه وتعالى، وكنا نحس ما يعانيه إلا أنه كان صبورا، إلا أن حالته لم تكن إلا في تدهور مستمر، فالمرض لم يرحمه ولم يرأف به ما استدعى نقله إلى قسم آخر لأن الرعاية تتطلب ذلك.

الوداع الأخير

كان صباح يوم الثالث عشر من شهر جويلية غير عادي بالنسبة لي، وبالنسبة لعائلة آل بغامي الذين كانوا مرابطين بجانب الوالد حتى آخر لحظاته بالرغم من انتقاله إلى قسم يُمنع فيه زيارة المرضى بالنظر لخطورة الإصابات وحساسيتها، وكنت كل صباح قبل أن أذهب إلى القسم الذي أعمل فيه، أمر بأبنائه للاطمئنان عليه، والاستفسار والوقوف عن حالته من الأطباء الذي يشرفون عليه.

وفي اليوم المذكور التقيت ابنه الذي كان قد أخبرني في اليوم الذي سبق أن حالته ازدادات سوءا، والدمع ملء جفونه، فعلمت بأن الشيخ بغامي قد انتقل إلى الرفيق الأعلى.

نعم رحل الشيخ المربي والرجل الفاضل محمد الشريف بغامي وهو في أوج عطائه التربوي والعلمي، تاركا وراءه الكثير من الفراغ والكثير من الدموع والحزن والأسى، فرحم الله الشيخ محمد الشريف بغامي وغفر له وأسكنه فسيح جناته.

✯✯✯✯✯✯



صورة الأستاذ رحمه الله بالمستشفى الجامعي لمدينة باتنة
يوم 4 ماي 2019

شهادة الأستاذ نور الدين مهري

درست مع الأستاذ محمد الشريف - رحمه الله - في جامعة باتنة بين سنتي 1982 - 1986، فكان طالبا متميزا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وكان أكبر منا سنا، فكنا نحن زملاؤه لا نفرق بينه وبين أساتذتنا في الاحترام والتقدير والتبجيل...

وما أذكره عنه هو دفاعه المستميت عن الدين وعن كل ما يتصل به، فكان إذا أحس أن أستاذا ما يلمز أمرا من أمور الدين رفع إصبعه، وصال وجال، معترضا ومبينا وناصحا ومرشدا... في أدب جم، وتواضع ظاهر...

وكانت له نبرة خطابية قوية، وحجة بالغة... وكنت ترى الطلبة - إذا شرع في الكلام - كأن على رؤوسهم الطير، فلا تكاد تسمع لهم ركزا...

وكنا نفرح جدا بمداخلاته، ونتحمس لها، ونتمنى ألا يتوقف عن الكلام.

وكان كثير من الأساتذة يخشون قوة ردوده، فلا يثيرون ما يغضبه كثيرا في حضوره، ولكنهم يتحدثون بكل راحة في غيابه... وكم كنا نأسف حين نرى تجاوزا من بعض الأساتذة في موضوع ما وهو غائب، ونحن لا نستطيع أن نسد مسده، و لا نمتلك علمه ولا جرأته ...

رحمه الله...



شهادة الأستاذ خليفة سعادنة

يشرفني أن أقدم شهادتي عن الأستاذ المربي محمد الشريف بغامي رحمه الله.

أولا: كمفتش في مديرية الشؤون الدينية لولاية باتنة، حيث كان مشجعا لكل الكفاءات في القطاع خاصة في ندوات التكوين المستمر.

وثانيا: أنني عملت تحت إدارته واشرافه في ملحقة دشرة أولاد موسى لتكوين الأعوان الدينين - مؤدنين وقيمين - لسنتين متتاليتين كأستاذ لعدة مواد، حيث كان المشجع والموجه لي ولزملائي الاساتذة.

ولا أخفي أنني كنت أقتدي بطريقته الهادئة والرزينة في التعامل مع الطلبة بمختلف مشاربهم الفكرية والمذهبية، بل كان يشجعني بقوة لمناقشة مذكرات وتقارير تخرج الطلبة عند نهاية العام التكويني للأعوان الدينيين، وتعلمت منه معنى التمسك بالمرجعية الدينية للجزائر.

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، آمين.

☆☆☆☆☆☆

شهادة الأستاذ عبد الرحمن محمد براء

أحد خريجي معهد زانة

مع كونه مديرا للمعهد، ولعدم توفر أساتذة في بعض المواد انبرى الشيخ محمد الشريف بغامي لتدريسنا مادة (ثقافة قانونية ومهنية) وأعلمنا بأنها مادة يحتاج إليها من يشرف على المساجد لمعرفة مالهم وما عليهم. وأول حصة معه: مدخل إلى الثقافة القانونية والمهنية بتاريخ ٢٠١٢/١١/٢٠.

ومما أذكره أيضا أنه كان عالما بالأنساب، وكان يوثق (من التوثيق) أي شيء أتِيَ به إلى المعهد؛ صدقة، هدية.. وكان ينادي أحد العمال ويقول: فلان وثق وثق ...

ومما يُكتب له في أثره أنه كان يعتني بالتربصات والتطبيقات، فجميع المعاهد تربص طلبتها خارج المعهد إلا الشيخ بغامي فقد اتخذ مسجد القرية في ساحة المعهد ليطبق فيه المتكون داخليا قبل خروجه وإرساله، فكانت لفتة منه أن يقابل الإمام زميله فيتربى على الاجتهاد والتهيئة اللازمة والشجاعة وغير ذلك من الصفات، قبل لقاء العامة من الناس.

ومما أذكره عنه أنه مسير لا يدور التبذير في ساحته ولا في تسييره ولا في إدارته، فهو مراقب لربه حقا وصدقا، ليس بخائن لعمله ولا بخائن لوطنه، حتى أنني يوما كنت في زاوية حجرة أراجع تحت ضوء المصباح بعد صلاة الصبح، وكان يتأخر في المسجد للإتيان بالأذكار، فلما خرج رأى النور في القسم فأقبل نحوه، فتح الباب، أدخل يده دون أن يدخل هو، أطفأ المصباح وقال: ما ينبغي هذا، هذا تبذير وإسراف أو نحوا من هذا الكلام. بل كان يشهد مناقشات جميع الرتب في كرسي بعيد عن لجنة المناقشة عند مدخل الباب، وكان يشهد الحراسة في الامتحانات أحيانا، فقلت بعدها: "إن الخلل الهين لدينا من أمور التسيير، كان لدى شيخنا أمرا عظيما جللا".

كما أنه رزق ذاكرة قوية جدا جدا.

رحم الله شيخنا، ووفق كل من ذكرنا به كأنه بيننا.

☆☆☆☆☆☆

شهادة الأستاذ عمار مسيعود

أحد خريجي معهد زانة

أنا أحد طلبة المعهد... درست سنة واحدة.. انتقلت من العاصمة بعد غلق معهدها... كان ذلك في فصل صيف 2016م.. شهر أوت...أبلغت أني حولت لمعهد باتنة "عمر دردور"... فانتقلت مباشرة إلى ولاية باتنة لمعاينة المعهد.. فإذا بي أجده في منطقة معزولة.. فأصابني هم وغم كبير.. لأنني لا أستطيع أن أتأقلم في هذه المنطقة.. لأنني كبرت في بعض الأحياء الشعبية في العاصمة..

فسارعت إلى الوزارة للتحويل..

لكن الإجراءات تأخرت..

وحان وقت الالتحاق بالمعاهد.. فاضطررت إلى الالتحاق بمعهد "عمر دردور"..

التقيت بمدير المعهد... وقداستقبلنا أنا وزملائي استقبالا حارا... وأقام حفلة لأجلنا.. فأحببته حبا كبيرا..

ولذلك لما تم الاتصال بي من الوزارة الوصية لأتحول إلى المعهد الذي طلبته، رفضت لأجل تعلقي وحبي لهذا الرجل....

رحم الله شيخنا رحمة واسعة...

✯✯✯✯✯✯

شهادة الأستاذ عماد لوصيف

خريج كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1

مما أذكره عن هذه القامة الإصلاحية؛ أننا في سنة من السنوات جئنا للمعهد لاستظهار القرآن ونيل شهادة الاستظهار كعادة القراء قبيل رمضان، أو قبيل المسابقات، فكان رحمه الله يعامل القراء وبالأخص الناجحين منهم معاملة خاصة يلحظونها منه، حيث ينادي الطالب باسمه، ثم يدخله لمكتبه الشريف ويجلسه على الأريكة ويتجاذب معه شيئا من الحكايات والطرف وشيء من السؤال عن الحال والأهل، ويختمها بدعوات صالحات مباركات، فيخرج الطالب من مكتبه بغير الوجه الذي دخل به منبسطا مسرورا.. وهكذا مع كل طالب حتى آخرهم دون ملل ولا كلل.

وهذا الفعل منه رحمه الله من باب إكرام أهل القرآن وإجلال منزلتهم، وهذا الخلق قد عزّ في هذا الزمان، والله المستعان.



شهادة الأستاذ محمد العيد خير

أستاذي ومديري بمعهد سيدي عقبة من 1987 إلى 1989، الأستاذ محمد الشريف بغامي الرجل الأديب و الأستاذ المثقف والإداري الصارم الحكيم والوطني الصادق الحر هو من طينة الكبار.

شآبيب الرحمة عليه.

لقد كان رجلا والرجال قليل.

وهو الذي أذهل وأثبت لبعض المغرورين والمعجبين بثقافتهم وتميزهم بأن بالجزائر أرض البطولة والشهداء، رجال علم وأدب وقيم وفضل، مما أثلج صدورنا ورفع من شأننا وزادنا تعلقا واحتراما لأستاذنا ومديرنا الأستاذ محمد الشريف بغامي رحمه الله وجعله جوار النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين من عباده.



نماذج من آثار الأستاذ
محمد الشريف بغامي

البُعد الأمازيغي في أدبيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1]

وأنا أتهيأ للالتحاق بأشغال هذا الملتقى، كنت أنتظر على أحر من الجمر – لأسباب قاهرة – وصول من يُقِلني إليكم لأتشرف باللقاء معكم والاستماع إليكم والاستفادة منكم، فحضرتني قصة وقعت للشيخ محمد الأمير صالحي – وهو من شيوخ جمعية العلماء في الأوراس ومجاهد من مجاهدي الثورة التحريرية المباركة – في بداية توليه مسؤولية تسيير مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية باتنة، فكان بعض إخوانه دائما يلقبونه بالأمير ويداعبونه بهذا اللقب، فمرة ناداه أحدهم، وهو يعاني ويقاسي في التسيير من حيث الإمكانات والوسائل، فقال له: أمير بلا إمارة، ومدير بلا سيارة.

إلا أن واجب تلبية الدعوة، واجب مطلوب شرعا، وقد حثنا رسول الله ﷺ على الاستجابة للدعوة، فما بالكم إذا كانت هذه الدعوة من جمعية العلماء ومكتبها في عين ولمان، وهي التي قال فيها مفدي ذات يوم من خريف سنة 1953، وبالذات يوم 23 أكتوبر 1953، وهو يلقي قصيدته الموسومة "من يشتري الخلد إن الله بائعه" أثناء تدشين دار الطلبة، دار ابن باديس للطلبة في قسنطينة، وهي قصيدة رائعة ووثيقة تاريخية يُستحسن العودة إليها، فبعدما خص فتية جمعية العلماء بقوله:

وفـــتـــيةٍ أخــلَــصُــوا لله أمرَهـُــــمُ * * والشَّعبُ لـم يَـثْـنِــهِ عسفٌ وتَهديدُ

قامُوا وفـي الشّعب كذّابون ليس لهم * * غـيـرَ المناصبِ والألقابِ مقصُـودُ

إلى أن قال:

جمـعِــيَّـةَ العلماءِ الـمـسلمين ومنْ للمسلمـيـنَ سـواكِ اليومَ مَنشُـودُ؟

خابَ الرَّجا في سواكِ اليومَ فاضْطَلِعي بالـعـِبْءِ مــذْ فَـرَّ دجَّالٌ ورِعدِيدُ

فابنوا المدارس في عرض البلاد فما غير المدارس للتحرير تمهيد

---

[1] مداخلة في الملتقى الوطني حول (جمعية العلماء ومرتكزات الهوية الوطنية)، المنظم من قبل شعبة جمعية العلماء في عين ولمان، يومي: 16-17 ماي 2014، وقد تم تحميل شريط المداخلة على اليوتيوب يوم 03 جوان 2014، لكنه لا يفتح كاملا، حيث ينقطع عند الدقيقة السادسة والعشرين.

دار ابن باديس في سيرتنا يظللها * * * نصـر ألا إن نصـر الله موعـود

إن ظهور جمعية العلماء أعطى لتاريخ الجزائر، وهي تقاوم مشروع فرنسا، أعطاها بعدا آخر، لأن الجمعية - بعدما استحضرت الماضي واستحضرت المحطات السابقة – خططت لمشروع نهضوي حضاري يرتقي إلى مستوى مقارعة فرنسا حضاريا، ثقافيا، وبخاصة عندما وصل الجزائريون بفعل المشروع الفرنسي، المشروع التغريبي، مشروع التمسيح، محاولة تنصير الجزائريين وفرنسة لسانهم وإخراجهم من دينهم وتغريبهم، إذ وصل الأمر ببعض الجزائريين أن فقدوا الأمل ويئسوا من الخروج من تلكم الوضعية التي كانوا فيها. وتحضرني هنا قصة رواها لي رائد من رواد الإصلاح في الأوراس الشيخ عمر دردور رحمه الله:

في قرية صغيرة بحوز أريس، في ثنية العابد، هناك قرية تسمى تاغيت سيدي بلخير، كان فيها منجم للزئبق، وكانت فرنسات تستغله، ولكن الطريق لم تكن مهيأة ومعبدة لنقله إلى محطة القطار، فكانت تقوم – كلما جمعت كمية معتبرة لنقلخا إلى المحطة في عين التوتة – كانت تجند بعض الجزائريين الغلابى الجوعى الفقراء والمحتاجين، تجندهم ببغالهم وحيواناتهم لنقل تلكم الكمية من الزئبق، وكانت تكلف ضابطا يشرف على القافلة، وكان الضباط والجند والعسكر الفرنسيون في يُسر من أمرهم، ليسوا جائعين ولا عراة، حالهخم يسور، بينما الجزائريون كانوا في حالة أخرى. وقد حدث أن أمر الضابط المشرف على تلكم القافلة في وسط الطريق، أمر الجند بإيقاف القافلة، واتجه صوب أحد الجزائريين، وقال له: وأنت في هذه الحال من الجوع والعطش أسألك سؤالا أريدك أن تجيبني عنه: ما هو شعورك وأنت في هذه الحالة، وأنا مزهو راكب، آمر وأنت تطيع، ما هو شعورك؟ أجابه الجزائري المسكين قائلا: "ربي يحفظ الحكومة انتاعنا (الحكومة الفرنسي)". ولكنه كان ذكيا فأحال السؤال نفسه إلى الضابط الفرنسي وقال له: وأنت في هذه الحالة، وأنت الضابط، بم تشعر؟ أجابه الضابط إجابة لها أكثر من معنى وأكثر من دلالة، قال له: "ربي إيكثر لعرب ويدبدب رايهم"، بمعنى لو كان لكم رأي ولو كنتم في مستوى دينكم ما كنا نحن لنكون هنا.

إذن، فجمعية العلماء لما جاءت بمشروعها قارعت فرنسا ثقافيا، حضاريا، فكان لها ما كان، وكان لسان حالها يقول كما قال مفدي ذذات يوم:

كفى ما جرى هل جرى ما كفى * * * كفى الجزائر ما جرى لها

موضوع كلمتي المتواضعة هو "البعد الأمازيغي في أدبيات جمعية العلماء".

جمعية العلماء، ومشروعها مستوحى من مشروع الرسالة، ذلكم الجيل الأول الفريد في مكة وفي المدينة، لم يكن ليقصي هوية أو انتماء أو نسبا، وكيف يفعل والإسلام قد استوعب الجميع، استوعب الهندي والفارسي والتركي والأردي والكردي، فكيف لا يستوعب الأمازيغي؟

ويكفينا دليلا؛ أن أغلب أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إن أردنا أن نعرف نسبهم، نجدهم من أصول أمازيغية: الشيخ عبد الحميد ابن باديس، الشيخ أبو يعلى الزواوي، الشيخ المولود الحافظي، الشيخ إبراهيم بيوض، الشيخ الطي بالعقبي، رحمهم الله جميعا.

هذا في الصف الأول، ونأتي إلى الصف الثاني، أسماء كثيرة وكثيرة كان لها فضلها في الاستماتة في الدفاع عن مرتكزات الشخصية الجزائرية، مرتكزات الهوية الوطنية، من دين ولغة وتاريخ ووطن.

إذن، الجمعية لم تكن لها أي مشكلة من هذا القبيل إطلاقا، ويكفي أن نعلم أن بعض طلبة مدارسها جاؤوها من مناطق لا تعرف الكثير عن العربية، فلما انتموا إلى مدارس جمعية العلماء وإلى معهد الشيخ ابن باديس فيما بعد، كان لهم مكان وتمكنوا من ناصية اللغة العربية أفضل ربما من بعض زملائهم وأقرانهم ممن أصولهم عربية.

إذن، الأمازيغية بهذا المعنى لم تكن مشكلة في جمعية العلماء إطلاقا، إنما الإشكال متى بدأ؟ بدأ بعد ظهور النزعة البربرية أو الأمازيغية في مستوى الحركة الوطنية، في حزب الشعب سنة 1949، وهذا كان بفعل فرنسا، بتدبير من فرنسا التي تنتهج سياسة "فرِّقْ تَسُدْ"، فلكي تتمكن يجب أن تفرق الصف، صف الجزائريين، حيث عرفت أن الجزائريين يختلفون من حيث الانتماء في نسبهم اللغوي، فحاولت أن تخترق الصف، ووجدت بعض الآذان الصاغية

فكان لها ما كان. ومن أراد أن يقف على هذه الحقيقة فليعد إى مصادر الحركة الوطنية، وبخاصة إلى ما كتبه رئيس الحكومة المؤقتة الثانية سي بن يوسف بن خدة رحمه الله في كتاب "أصول أول نوفمبر" يشرح هذه القضية، لأن آيت أحمد كان أحد الذين وقعوا ضحية لهذه النزعة ولهذه الدعوة، وهجرس، وغيرهما. ولما لم يفلحوا على مستوى الوطن، انتقلوا حتى إلى فرنسا، ومكنت لهم فرنسا هناك وحاولت أن تساعدهم، إلا أن الحركة الوطنية التي كان على رأسها آنذاك سي أحمد بومعزة رحمه الله، كان له دوره في إطفاء نار هذه النزعة، ولكن بقيت حتى لدى بعض أقطاب الحركة الوطنية.

وهنا تحضرني أيضا قصة أو لفتة من أحد أقطاب الحركة الوطنية، فبعدما تم اكتشاف المنظمة الخاصة وهاجر بعض أقطاب الحركة الوطنية إلى جبال الأوراس، وكلفت الحركة ممثلة في الشهيد مصطفى بن بولعيد الخارجين عن القانون الفرنسي الذين كانوا بمثابة الجناح المسلح للحركة الوطنية في المنطقة، كلفتهم بضمان أمن قادة الحركة الوطنية، في ليلة من الليالي – وكانوا يتنقلون من مكان إلى آخر – ذهبوا إلى منطقة نائية عند صاحب بيت هناك، والذي أكرم مثواهم، يحكي لنا أحد طلبة جمعية العلماء المسلمين (محل الشاهد عندنا هنا)، يروي لنا يقول: ذهبت زائرا لهذه العائلة، لقرابتي منها، وكان الموسوم موسم شتاء وكان الجو باردا، قال: جسلت بجوار الموقد التقليدي أتدفأ وفي يدي جريدة "البصائر" أقراها على ضوء مصباح تقليدي، قال: وكنت أرى حركة غير عادية في البيت، النساء يقمن بإعداد الأكل، وصاحب البيت يدخل ثم يخرج، ومضى من الليل تقريبا ثلثه، فإذا بهؤلاء قادة الخارجين على القانون ومعهم بعض قادة الحركة الوطنية يدخلون واحدا تلو الآخر، فجلسوا جميعهم، فأحضر إليهم الطعام، إلا واحدا منهم رأى جريدة "البصائر" في يدي، جاءني واستفسرني مستغربا وقال: أوتصلكم جريدة "الخسائر" هنا؟ وهذا نتيجة هذه النعزة البربرية أو الأمازيغية الضيقة التي كانت وراءها اليد الفرنسية أو الاستخبارات الفرنسية.

والشي نفسه قامت به حتى بعض الزوايا، السياسة نفسها انتهجتها فرنسا مع بعض الزوايا التي أثارتها ضد جمعية العلماء، وهنا أؤكد أن هذا المظهر ما زال إلى يومنا هذا، وأنا أعمل منذ قرابة أربعة عقود بين التربية والشؤون الدينية وعملت مديرا لأكثر من معهد، من تمنراست إلى سيدي عقبة

إلى تيزي وزو إلى باتنة، أدرس من خلال بعض طلبة المعاهد، أجد الطلبة الذين تخرجوا من الزوايا، رغم حفظهم للقرآن الكريم وحفظهم لكثير من المتون وإلمامهم بكثير من الجوانب الفقهية، إلا أن بعضهم ما زال مشحونا - بفعل التاريخ - ضد الجمعية.

ولعل السادة العلماء يذكرون ما قامت به فرنسا من خلال عيونها من محاولة تفجير المكتب الإداري لجمعية العلماء سنة 1932، بفعل هذا الذي أشرت إليه.

إذن، عندما نتحدث عن البعد الأمازيغي عند جمعية العلماء، لا نتحدث عنه بهذا المعنى، وإنما نتحدث عنه بالمعنى الأول الذي اجتمع فيه بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وأبو بكر العربي، في بوتقة مجتمع واحد، مجتمع الرسالة، وهكذا كان شيوخنا وكان أعلام جمعية العلماء في شمال الجزائر وجنوبها وشرقها وغربها يعملون، ولم تكن لهم مشكلة مع الأمازيغية مطلقا.. وهذه النزعة الضيقة إنما ظهرت بعد الثمانينات من القرن الماضي وكانت الأكاديمية الفرنسية هي التي تحمل لواءها وتحركها في هذا الإطار، وهذه النزعة ذات مضمون فرانكوفوني تغريبي ولا علاقة لها بالشخصية الوطنية الجزائرية الأصيلة.

استطراد:

الأمازيغية - في نظري - مرتبطة - في أحد أبعادها - بالمكان.

فمثلا كلمة (تهودة)، قبل ثلاث سنوات كنا يف مقلتى دولي في سيدي عقبة بولاية بسكرة، وقام وفد من السادة الأساتذة المحاضرين من داخل الجزائر وخارجها بزيارة المكان الذي يسمى (تهودة)، حيث استشهد سيدنا عقبة بن نافع رضي الله عنه، وأثناء شرح الدليل السياحي للوفد ما مر بهذا المكان من أحداث زما يحمله من أبعاد، أحد الأساتذة من خارج الوطن سأل وقال: ماذا تعني كلمة (تهودة)؟ فسكت الجميع ولم نجد لها تفسيرا بالعربية، فاجتهدتُ وقلتُ لهم: الكاملة مرت من هنا، نزلت هنا، هذه الكلمة تتكون من فعل وفاعل بالأمازيغية، بمعنى (نزلت هنا) لأن أصلها (ثهواد ذا).

ومثلا كلمة (فرندة) في الغرب الجزائري، ليس لها معنى باللغة العربية، فهي (أفرن ذا)، بمعنى (اختبأوا هنا)، وعندما نستنطق التاريخ نجد هذا

المعنى.. تماما مثل (واد سوف) كلمتان لهما معنى واحد، إحداهما بالعربية والثانية بالأمازيغية، الواد هو سوف، سوف كلمة أمازيغية تعني واد... وهكذا.

ومثل ذلك (أدرار) هي (أذرار) بالأمازيغية، أي الجبل.

ومثله (تمنطيط) و(كاف إيسلي) وغيرها من أسماء الأماكن.

......................[1]

☆☆☆☆☆☆

---

(1) عند هذه النقطة انقطع الشريط، رغم أن الكلام لم يتم.

الشيخ المصلح والقاضي محمد الدراجي ميهوبي[1]

من أقوال العلامة محمد الدراجي ميهوبي الخالدة:

"ما أسهل أن نبني بلدًا، وما أصعب أن نبني ولدًا، فكيف ببناءٍ لا يستثني أحدًا ؟..".

نسبه:

هو محمد الدراجي ميهوبي بن محمد المبارك، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت العموري.

مولده ونشأته:

وُلِدَ المجاهد محمد الدراجي ميهوبي سنة 1906 مِ بعين الخضراء إحدى مداشر مدينة بريكة ولاية باتنة، في وسط أسرة متواضعة، عُرِفَتْ واشتهرت بالعناية بالقرآن إذْ كان والده مؤدِّبًا لأبناء القرية.

بدأ حفظ القرآن صغيرًا على يد والده حتى أتَمَّ حفظه وهو ابن الثانية عشرة من عمره بإتقان حتى أصبح مساعدًا لأبيه في التعليم القرآني وتأديب الناشئة من أبناء القرية.

مساره العلمي:

بعد ختم القرآن الكريم بإتقان رحل إلى طولقة حيث الزاوية العثمانية ليمكث فيها ست سنوات، وقد درس فيها مختلف العلوم الشرعية واللغوية، كـ (الرسالة) و (مختصر خليل) و (متن ابن عاشر)، وهي كتب الفقه المالكي، كما درس (متن الأجرومية) في النحو والمنظومة (الرحبية) في الفرائض....

ثم انتقل بعد ذلك إلى الجامع الأخضر بقسنطينة سنة: 1928 مِ بعد أدائه للخدمة العسكرية ليتتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس، ويأخذ جملة من العلوم الشرعية حيث مكث فيها أربع سنوات كاملة كلها جد واجتهاد ومثابرة، وفي هذه المرحلة درس مجموعة من الكتب العلمية كالأسنة، ورسالة الزنجاني، ومتن قطر الندى لابن عقيل، واللامية، إضافة إلى دروس الإمام في التفسير،

---

[1] مقال منشور في العدد 2488، من جريدة المستقبل المغاربي، الصادر يوم الأربعاء 03 أوت 2016، الموافق 29 شوال 1437هـ، ص: 16.

مَكَّنَتْهُ من اكتساب رصيد علمي وثقافي واسع، ما جعله يتفوق على أقرانه ويظهر بنبوغه فاختاره مساعدًا له للتدريس بمسجد سيدي قموش بقسنطينة لمدة ثلاث سنوات، وكان بعد ذلك أحد العرفاء بجمعية العلماء المسلمين بناحية بريكة (أولاد دراج).

مساره الإصلاحي والدعوي:

بعد هذه المسيرة الحافلة تَعَلُّمًا وتدريسًا بمسجد سيدي قموش، التحق الشيخ إمامًا واعظًا ومرشدًا ومدرسًا بمسجد ومدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بإينوغيسن دائرة أريس سنة: 1936 مِ وذلك بطلب من أعيان الأوراس عرش بني بوسليمان الذين وفدوا على الشيخ ابن باديس من بينهم سي عمار حمزة، بشير بوكوشة وسي مُحمد بلمبارك وغيرهم... إذ قضى بهذه الناحية أكثر من عشر سنوات معلمًا مفيدً ومربيًا مصلحًا. ثم انتقل إلى مدرسة الحجاج قرب دشرة أولاد موسى أريس، فمكث بها إلى اندلاع الثورة مناضلًا ومعلمًا وناشرًا للقضية الوطنية والأخلاق، وباعثًا للروح الوطنية في نفوس المواطنين، كما حارب الخرافات والانحرافات الفكرية... إلى أن التحق بالثورة وحمل السلاح مجاهدًا، وشغل في مسيرته الجهادية مهمة القضاء، ليعود إلى ميدان الدعوة والتربية غداة الاستقلال مؤثرًا له على المجال السياسي.

مساره الجهادي:

لم يقتصر عمل الشيخ وجهاده في المجال العلمي والتربوي والإصلاحي فقط، بل كان له عمل ثوري موازي قبل الثورة وأثناءها، فقد كان نضاله السياسي سابقا للعمل الثوري، كما كان على اتصال بمناضلي منطقة الأوراس، أمثال سي الحواس وعباس لغرور ومصطفى بن بولعيد وغيرهم. كما التحق الشيخ بصفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية عقب مجازر 8 ماي 1945 مِ واشتد نضاله ونشاطه مما جعله مصدر إزعاج للسلطات الفرنسية بمنطقة الأوراس، فضيقت عليه وسَعَتْ لإبعاده عن المنطقة... وعند اندلاع الثورة كان من المستجيبين الأوائل المباركين لها، وبعد أسبوعين من انطلاق الثورة أُلقِيَ عليه القبض وسُجِنَ بباتنة لمدة قصيرة ليلتحق بالثورة مباشرة بعد إطلاق سراحه سنة 1955 مِ، وعُيِّنَ مُشْرِفًا على اللجان المحلية بالناحية الرابعة، كما كُلِّفَ بالقضاء إلى غاية توقيف القتال.

وفاته:

بعد مسار حافل بالإنجازات والبطولات قبل وبعد الاستقلال انتقل الشيخ إلى رحمة الله يوم: 5 / 3 / 1963 مِ إثر حادث مرور في طريق نقاوس، وهو يؤدي مهمة كُلِّفَ بها من طرف المسؤولين بولاية باتنة (مهمة إصلاح ذات البين)، ودُفِنَ يوم: 6 مارس 1963 مِ بمسقط رأسه بعين الخضراء في جنازة مهيبة دالة.

آثاره وأعماله:

شُغِلَ كغيره من المصلحين في هذه المرحلة بصناعة الرجال عن تأليف الكتب، فكان جُلُّ عمله ونشاطه تربويًا إصلاحيًا توعويًا، فقد كان يقوم بدور التعبئة والقاضي والمصلح بين الناس، وكان ينتقل بين حلقات المساجد والأسواق الأسبوعية ويفتي للعامة، كما نقلته الجمعية ليدرس في مدارسها الحرة كسيقوس وغيرها.

من تلامذته وطلبته:

الشيخ أحمد حماني، عبد الرحمن شيبان، الشهيد مدور عزوي، الشهيد عمار عاشوري، الشهيد الصادق بوكريشة، الشهيد إسماعيل مختاري، الشهيد محمد درنوني، الشهيد لمبارك بن عزة، المجاهد الطاهر عزوي، المجاهد الصالح عزوي، والشيخ محمد علاوي إمام مسجد إينوغيسن، والأستاذ الهادي بن لمبارك وغيرهم كثير.



الشيخ عمر دردور بين الإيذاء والصبر والجهاد والنصر[1]

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُشَفَّعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ"[2].

موضوع حديثي سيكون حول شخصية علمية إصلاحية جهادية تربوية، إنها شخصية المصلح المجاهد المربي الشيخ عمر دردور عليه رحمة الله. وقد أسميت عنوان هذه المداخلة المتواضعة وهذا الحديث المتواضع "الشيخ عمر دردور بين الإيذاء والصبر والجهاد والنصر".

الاعتبارات الداعية للحديث عن هذه الشخصية:

وحديثي عن هذه الشخصية يأتي لاعتبارات كثيرة:

الاعتبار الأول: ضرورة تجسيد قيمة الوفاء للعلماء، فما طلب العلم إلا وطلب العمل، وما طلب العمل إلا وطلب العلم. وشخصية الشيخ عمر دردور شخصية متميزة لها فضلها في نشر العلم وفي تمكين أبناء الجزائر من العلم ومن التعلم.

الاعتبار الثاني: كون هذه الشخصية، كما قال ذات مرة الدكتور أبو القاسم سعدالله رحمه الله، ونحن في مكتبه سنة 2009 بعد وفاة الشيخ عمر دردور بأيام، وكنا نجتهد في تنظيم تأبينية أو إقامة يوم دراسي حول مسيرته الإصلاحية والجهادية والتربوية، وكنت آنذاك مع زميلي الأستاذ أحمد بن السائح الكاتب المعروف والصحافي القدير، كنا في زيارة للدكتور أبو القاسم سعدالله في مكتبه في العاصمة، ونحن نتحدث عن هذه الشخصية، أصدر حكما في حقه، قائلا: "إن الشيخ عمر دردور يكاد يكون الوحيد من ورثة الشيخ ابن باديس الذي استطاع أن يجسد جوانب كثيرة من شخصية شيخه ابن باديس". إذن، هذا اعتبار آخر يجعلنا نختار الحديث عن هذه الشخصية المتميزة.

الاعتبار الثالث: كون الشيخ عمر دردور من الذين جمعوا بين الإصلاح والوطنية عمليا وليس نظريا، فهو كان فعالا ولم يكن قوالا، كان يفعل

---

[1] محاضرة في مكتبة الإحسان بمدينة باتنة، تم تحميلها في 15 جزء على اليوتيوب، يومي 15-16 جويلية 2017م.

[2] أخرجه الآجري في «الشريعة» ص (350)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (ج1، ص37).

ويُفعِّلُ ما لديه من إمكانات ووسائل، ويُفَعِّلُ الطاقات البشرية والعقلية الموجودة لخدمة مشروعه، لخدمة مشروع الجزائر الذي كان ينشده.

الاعتبار الرابع: الشيخ عمر دردور كان من الأوائل الذين تعرضوا للإيذاء منذ كونه طالبا في زاوية والده زاوية أجداده وفي زاوية طولقة وفي مجلس ابن باديس، تعرض أكثر من مرة للأذى. ثم تعرض فيما بعد للأذى وهو شاب من السلطات الفرنسية التي زجت به في السجن سنة 1937. وأوذي من الكثير حتى خلال عمله مع الحركة الوطنية وخلال عمله مع أقطاب السياسة الجزائرية آنذاك في إطار الحكومة المؤقتة، أوذي كثيرا ولكنه كان دائما يصبر.

الاعتبار الخامس: كونه مؤسِّسا لأهم مؤسَّسة بعد الاستقلال وهي معاهد التعليم الأصلي أو المعاهد الإسلامية، فهو صاحب الفكرة وهو الذي جسدها، وقد انطلقت من هنا.

إذن، هذه الاعتبارات كلها وغيرها، جعلتني أهتم بهذه الشخصية.

ثم يبقى **اعتبار آخر شخصي**، وهو كوني قريبا من هذه الشخصية وعملت معها قرابة العقدين من الزمن، واستفدت منه استفادة معتبرة ومتميزة، ربما غيرت شخصيتي ووجهتها وجهة أراها السليمة والصحيحة في تقديري.

مولده ونشأته:

الحديث عن الشيخ عمر هو حديث عن مراحل أو محطات، لأن الشيخ عمر هو من مواليد 13 أكتوبر 1913 في قرية حيدوس في ثنية العابد، وهو أصيل زاوية. حفظ القرآن الكريم وهو طفل في زاوية والده، زاوية جده، وتلقى المبادئ الأولية في الفقه والتفسير والسيرة وفي اللغة في زاويته.

ثم لما اكتملت تلكم المرحلة شد الرحال إلى الزاوية العثمانية بطولقة، وهناك – خلال سنتين تقريبا – تفتحت أمامه الآفاق.

التحاقه بالإمام ابن باديس:

بلغ مسمعَه صدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، صدى الشيخ عبد الحميد ابن باديس ومن معه من إخوانه من أقطاب الحركة الإصلاحية سنة 1932، ولذلك راح ينشد الالتحاق بالشيخ عبد الحميد ابن باديس لتلقي العلم على يده، فبحث عمن يدله، فدله أحد الشيوخ في الزاوية العثمانية بطولقة على المسجد الذي كان يدرس فيه ابن باديس، ثم وجد أحد الرجال الخيرين من أبناء الأوراس آنذاك وهو الشيخ الحنفي لعوبي وكان تاجرا وكان له دوره وأثره في

التمكين لمشاريع جمعية العلماء ماديا، فرافقه الحنفي لعوبي إلى الشيخ ابن باديس الذي استقبله استقبالا حارا، ثم عرف منه أصله وعرف أنه أصيل زاوية، فالشيخ عبد الحميد ابن باديس لم يكن رجلا عاديا، وإنما كان رجلا استراتيجيا يحسن قراءة الوجوه ويحسن قراءة النفوس والعقول، ورغم ذلك امتحن الشيخ عمر دردور بمجموعة من الأسئلة ومنها شطر من بيت شعري (يا رحمة الله حُلي في منازلنا)[1] وطلب منه أن يعربه إعرابا صحيحا، فأعربه كاملا إعرابا سليما صحيحا، كما أكد لنا ذلك الشيخ عمر دردور في حصة خاصة مع إذاعة الأوراس آنذاك سنة 1996، وكانت جميع إجاباته موفقة، ولذلك لما شرع في التلقي من الشيخ عبد الحميد أبدى نباهة وذكاء وسرعة في الفهم والتحصيل مما جعل شيخه يعتمده مع مجموعة من إخوانه منهم الشيخ الزموشي والشيخ عبد المجيد حيرش والشيخ الفضيل الورتلاني وغيرهم من الشيوخ الذين كان الشيخ ابن باديس يستعين بهم في تدريس بعض طبقات نظامه التربوي والتعليمي، وكان يستخلف أحيانا الشيخ أحمد حماني رحمه الله الذي كانت لديه إشكالية في النطق في اللسان، وكان يجد صعوبة في تدريسه وفي تعليمه، مما يجعل بعض الطلبة وبعض التلاميذ ينفرون من دروس وحصص الشيخ أحمد حماني، لا لأنه لا يملك المعارف والمعلومات، إنما لافتقاده إلى التمكن من حسن الأداء والتبليغ. ولذلك كانوا يستنجدون بالشيخ عمر دردور لكي يقوم مقام الشيخ أحمد حماني في التدريس، وهذا من خلال بعض الروايات التي رواها الطلبة ومنهم الحاج زقادة رحمه الله الذي درس عند الشيخ عمر دردور ويروي لنا كيف كان يدرسهم الشيخ عمر بحماسة وبجراءة وكله رغبة في أن يفهم ويستوعب الطلبة ما يقدمه من دروس.

تعيينه معتمدا للجمعية في الأوراس:

خلال هذه الفترة عينه الشيخ ابن باديس معتمَدا لجمعية العلماء سنة 1935، فأصبح الشيخ عمر دردور – بالإضافة إلى كونه طالبا ومدرسا – يقوم بمهمة الاعتماد أي تمثيل جمعية العلماء في الأوراس كله، فاعتُمد ببطاقة رسمية من الشيخ عبد الحميد ابن باديس لتمثيل جمعية العلماء في الأوراس والإشراف على إنجاز المشاريع؛ اللجان الدينية، النوادي، المساجد، المدارس،

---

[1] شطر بيت للشاعر العباسي بشار بن برد، والبيت كاملا:

يا رحمة الله حلي في منازلنا　　　وجاورينا فدتك النفس من جار

ومتابعتها وحمايتها أيضا من الانحراف أو الذوبان. فكان الشيخ يقوّم بنشاط محسوس وملموس يطبعه طابع الشباب، حيث كان عمره آنذاك اثنتان وعشرون (22) سنة.

اعتقاله وسجنه:

كان عمره أربعة وعشرون (24) عاما سنة 1937 لما قدَّمَ درسا في إطار سلسلة من الأنشطة التي كان يقوم بها في الأوراس، قدم درسا في موضوع الجهاد في أكثر من مكان؛ في تيسقيفين وفي منعة وفي ثنية العابد، وهو الشاب المتقد بالحيوية وبقوة الإيمان، قدم درسا في هذا الموضوع، وكأنه يحرض الحضور ورواد دروسه من المواطنين الجزائريين، من المسلمين الجزائريين في تلك المنطقة، يحرضهم على أن ينفضوا الغبار عن أنفسهم، على أن يثوروا ضد التخلف وضد الظلم وضد الاستدمار الفرنسي. ولذلك كانت له فرنسا – من خلال عيونها – بالمرصاد، فكانت تتابع خطواته متابعة دقيقة أولا بأول، وأول العيون المكلفة بمتابعة نشاط الشيخ عمر دردور هو قايد أريس، هذا القايد كلما سمع بنشاط يقوم به الشيخ عمر إلا وأعد تقريرا للجهات المعنية محليا وولائيا، فلما بلغه خبر تقديمه لدرس في الجهاد أعد تقريرا وجهه لحاكم أريس، وحاكم أريس وجه تقريره إلى حاكم ولاية باتنة، وحاكم ولاية باتنة وجه تقريره إلى حاكم قسنطينة، وحاكم قسنطينة وجه تقريره إلى الحاكم العام في الجزائر العاصمة، الحاكم العام أعطى أمره بالقبض عليه والزج به في سجن باتنة، ونفذت الأوامر بالتمام والكمال، فزج به في السجن سنة 1937. وبذلك كان الشيخ عمر أول من سُجن في الأوراس.

وهنا نقف مع بعض المعاني والدلالات وبعض مميزات هذه الشخصية من خلال مواقفها.

أثناء فترة التحقيق معه من قبل قاضي التحقيق الفرنسي في محكمة باتنة، وهو الشاب الذي لم يتجاوز أربعا وعشرين سنة، تفطن إلى حيلة، والحيل مطلوبة ولكن فقط يجب أن تكون حيلا مشروعة ولا تكون حيلا ممنوعة، حيث لما كان قاضي التحقيق يحقق معه في الموضوع الذي نُسب إليه وهو التحريض على الجهاد، قال: "أنا لا أنكر أنني قدمت درسا، هذه مهمتي وهذه رسالتي وأنتم تعلمونها، فأنا معتمد جمعية العلماء في الأوراس، فمن حيث المبدأ أنا لست مخطئا، فأنا اقوم بمهمتي، بوظيفتي، برسالتي، بواجبي، ولكن النشاط

الذي قمت به والدروس التي قدمتها في أكثر من مكان لم تكن في موضوع الجهاد، ما قدمته كان في الاجتهاد، لأنني كنت أخاطب العمال والفلاحين وأحثهم على الاجتهاد في أعمالهم وفي فلاحتهم، وأنا أتحدى قايد أريس الذي نقل إليكم الخبر إن كان يفرق بين الجهاد والاجتهاد". فما كان من قاضي التحقيق إلا أن رفع سماعة الهاتف واتصل بقايد أريس وسأله: هل المعني قدم درسه في الجهاد أم الاجتهاد؟ فقال قايد أريس: هذه لا أعرفها. وبذلك أحدث الشيخ عمر، بذكائه وفطنته وكياسته، ثغرة في مجريات التحقيق، مما جعل قاضي التحقيق الفرنسي يطلق سراحه لعدم توفر الأدلة الكافية لإدانته في القضية، فأطلق سراحه، لكن السلطات الفرنسية بقيت تتابع الملف [وأعادت الشخ إلى السجن]، وكان من بين ما كتب عن الشيخ عمر آنذاك في الكتابات الفرنسية لبعض الفرنسيين إطلاق صفة الخطورة على الشيخ عمر دردور، فكانوا يسمونه بالشاب الخطير عمر دردور:

Le dangereux jeune marabout Omar Dardour

هكذا كانوا يسمونه في كتاباتهم الفرنسية، لِما كان يمثله من خطورة على مصالح فرنسا، على استقرار فرنسا في المنطقة. ولذلك لما أطلق سراحه، في هذه الفترة بالذات الشيخ عبد الحميد ابن باديس بلغه خبر سجن الشيخ عمر دردور، ولذلك سارع الشيخ ابن باديس إلى مكاتبة الشيخ عمر مستفسرا عما وقع وحدث له، فكانت بينهما عدة مراسلات. ولم يكتف الشيخ ابن باديس بهذا، بل أخذ صورة للشيخ عمر دردور ونشرها في مجلة الشهاب وعلق عليها بتعليق: "الشيخ عمر دردور قائد الحركة الإصلاحية بجبل الأوراس ومعتمد جمعية العلماء به، أول عالم جزائري يُسجن في سبيل نشر الهداية الإسلامية".

ومع أن وسائل التنقل لم تكن متوفرة ولا سهلة، فقد سافر الشيخ عبد الحميد ابن باديس من قسنطينة إلى باتنة يوم محاكمة الشيخ عمر دردور بواسطة القطار، رفقة بعض شيوخ جمعية العلماء ومنهم الشيخ محمد خير الدين رحمه الله، لحضور المحاكمة، ولما وصل الشيخ ابن باديس إلى باتنة اتجه إلى المحكمة مع مرافقيه، وهناك وجد جمهورا من الجزائريين من سكان مدينة باتنة وربما من الضواحي المجاورة أيضا جاؤوا لحضور هذه المحاكمة، بل لم يكتفوا بذلك وإنما أحاطوا بالمحكمة ونظموا تجمهرا للتأثير على سير الجلسة للضغط على السلطات القضائية والسياسية الفرنسية لإطلاق سراح الشيخ عمر

دردور، مما يدل على أن هذه الشخصية لها مكانتها ولها رمزيتها في المجتمع، فكان الرجال يهتفون: الله أكبر، وكانت النساء يزغردن. فوجدها الشيخ عبد الحميد ابن باديس فرصة سانحة لتقديم خطاب مؤثر مناسب للمقام، وبدأ الكلام، ثم حالت بينه وبين خطابه السلطات الأمنية الفرنسية، فقيل له: يا شيخ، نحن نحاول أن نهدئ الأمور وأنت تريد أن تصعدها. فمنعوه من إكمال خطابه وإلقاء كلمته أمام الحضور. ثم حان وقت صلاة العصر فاتجهت الجموع إلى المسجد العتيق وهو المسجد الوحيد في باتنة آنذاك، لصلاة العصر، ولما دخل الشيخ ابن باديس لأداء صلاة العصر قدمه جمهور المصلين ليؤمهم في صلاة العصر. تقدم الشيخ فصلى بهم إماما، وبعد السلام التفت إلى الجمهور رافعا يديه، وقال لهم: الفاتحة، فقدم الخطاب الذي لم يستطع تقديمه في الخارج، قدمه في الفاتحة في المسجد. ثم خرج الشيخ ابن باديس وتوجه إلى محطة القطار عائدا إلى قسنطينة. اما الشيخ عمر دردور فقد حكمت عليه المحكمة بالسجن النافذ ستة أشهر كاملة، وخرج منه قبيل الحرب العالمية الثانية.

إذن هذه المرحلة، مرحلة الثلاثينيات، وأنا هنا تحدثت عن أهم المحطات فيها ولم أتحدث عن كل شيء، لكني أشرت واستحضرت بعض أهم المحطات في مسيرة الشيخ، وهو معتمد جمعية العلماء المسلمين في الأوراس.

نشاطه في إطار الحركة الوطنية:

بعدها تأتي مرحلة أخرى، وهي مرحلة العمل الوطني في إطار الحركة الوطنية خلال الأربعينات. طبعا الشيخ عمر له انتماءان وهما متكاملان ولا يتناقضان، أولهما: انتماء العمل الإصلاحي والحركة الإصلاحية، ولم يتنكر له في يوم من الأيام إلى آخر أيام حياته، لم يتنكر لهذا وظل وفيا لشيخه عبد الحميد ابن باديس رحمه الله ومنهج جمعية العلماء.

ولكن هذا لم يمنعه أبدا من العمل في إطار الحركة الوطنية ومن التنسيق مع بعض أقطابها ومنهم الشهيد مصطفى بن بولعيد والشهيد سي الحواس وسي مسعود بلعقون وغيرهم من أقطاب الحركة الوطنية في الأوراس، والدكتور بن جلول وسي فرحات عباس، هؤلاء جميعا كان يلتقيهم، وأحيانا كان بتوصية وتوجيهات من شيخه ابن باديس مثلما كان الأمر مع الدكتور ابن جلول.

وفي هذه المرحلة فتح مطحنة، وكان الشهيد ابن بولعيد يتردد على مطحنة الشيخ عمر، فكانا يلتقيان ويتبادلان أطراف الحديث، ولاشك أن حديثهما لم يكن لغوا، كان حديثا مفيدا، كان حديثا يصب في مجرى ما يخدم مصلحة الشعب الجزائري، يصب في مجرى الحركة الإصلاحية والحركة الوطنية.

إذن، الشهيد بن بولعيد كان على صلة وثيقة بالشيخ عمر دردور وبأقطاب الحركة الإصلاحية، فهناك احتكاك، وهناك تعاون.

في هذه المرحلة كانت هناك مطحنة في الواد المجاور لبرباقة أقامها رجل إيطالي متزوج بجزائرية من بوحمار، وكان هذا الإيطالي يؤوي الثائر مسعود بن زلماط حيث كان يتردد على هذه المطحنة ويلتقي هناك ببعض المتمردين من خلال هذا الإيطالي.

وفي الأربعينات، أقام الشيخ عمر دردور مطحنة خاصة به في مكان غير بعيد عن مطحنة ذلك الرجل الإيطالي، وراح من خلالها يقوم بنشاطه، طبعا يستغلها في خدمة المجتمع، يقدم خدمات، ثم كان يلتقي ببعض أقطاب الحركة الوطنية في المطحنة ومنهم الشهيد مصطفى بن بولعيد الذي كان يتردد من حين لآخر، وكان الشيخ عمر يُحْضِر حمارا ويُرْكِب عليه الشهيد بن بولعيد لينتقل به في تلك المنطقة الوعرة الصخرية للوصول إلى المطحنة ليتبادل معه أطراف الحديث فيما يخدم الحركة الوطنية. ولذلك، في هذا السياق، في الانتخابات النيبابية سنة 1948 التي ترشح لها بعض الجزائريين ومنهم الشهيد مصطفى بن بولعيد، بتوجيه من الحركة الوطنية نفسها، هو لم يختر، لم يتمرد على الحركة الوطنية ويترشح رغم رفضها، لا، كان ترشحه في إطار تفاهم عام، في إطار توجيه لأقطاب الحركة الوطنية للترشح ضمن الانتخابات النيابية الفرنسية، علهم يُحدثون ثغرات في الطريق المسدود ويُحدثون تغييرا من الداخل. طبعا، فرنسا زورت الانتخابات. من يا ترى كان مؤطرا للحملة الانتخابية للشهيد بن بولعيد؟ هو الشيخ عمر دردور، هو رئيس الحملة الانتخابية للشهيد مصطفى بن بولعيد في الانتخابات النيابية سنة 1948، حيث عقد تجمعات كثيرة، منها: في بوزينة، في منعة، في ثنية العابد، في تكوت، في أريس، في مشونش، وما زال بعض الشهود الذين حضروا تلك التجمعات يروون لنا ما كان يقوله الشيخ عمر في هذه الحملة الانتخابية، ومنهم عمي مسعود مهري شفاه الله وعافاه. هذا الرجل شقيق الأستاذ محمد مهري المحامي

الكبير الذي كان مسؤولا على العمل الإعلامي في دمشق في الخمسينات. شقيقه عمي مسعود يروي لنا ما كان يقوله الشيخ عمر في حملته الانتخابية للشهيد مصطفى بن بولعيد في مشونش.

إذن، الشيخ عمر فيه ميزة تميزه عن بقية العلماء والإصلاحيين الآخرين هي استطاعته واستعداده للتكيف مع كل مرحلة، يتكيف مع الجميع ويعمل مع الجميع ويجتهد في أين يجمع الجميع في بوتقة واحدة هدفها هو التحرر وتحقيق أمنية الشيخ ابن باديس:

يا نشء أنت رجاؤنا * * * وبك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها * * * وخض الخطوب ولا تهب

إذن، وهو يقوم بالتنسيق مع الحركة الوطنية في الأوراس، لم يهمل عمله الإصلاحي.

كان يلتقي أيضا بالشهيد سي الحواس، أحمد بن عبد الرزاق حمودة، الذي كان يحضر من مشونش إلى أريس ويلتقي مع الشهيد بن بولعيد والشيخ لمير صالحي ومسعود بلعقون، ومجموعة من المناضلين والقادة الإصلاحيين في أريس، وكان يوزع المنشورات في أريس.

الشهيد سي الحواس، هو أصيل زاوية، زاويته احتضنت جمعية العلماء، تحولت زاوية والده وأجداده إلى مدرسة لجمعية العلماء، والتي دَرَّسَ فيها الشيخ أحمد السرحاني تيمقلين، ودرس فيها الشيخ عبد الواحد واحدي والشيخ مولود مطمر والشيخ عيسى يحياوي والد سي محمد الصالح يحياوي، وهناك دَرَسَ محمد الصالح يحياوي وحفظ القرآن الكريم ودرس مبادئ الفقه واللغة العربية في مدرسة مشونش. ومن هناك تخرج الأستاذ محمد مهري والأستاذ فرحات نجاحي، أساتذة كثيرون ومجاهدون كثيرون تخرجوا من مدرسة مشونش زاوية آباء سي الحواس.

إذن، الأمور مرتبطة ببعضها البعض.

التحاقه بثورة نوفمبر:

أعود للشيخ عمر.

في بداية الثورة، في بداية الجهاد، لعلاقته بأقطاب الحركة الوطنية، انتمى إلى الجهاد مباشرة، من خلال كونه قاعدة خلفية للمجاهدين في جبل

بوعريف، وهو كان يسكن في تازولت، وكان الشيخ عمر مكلفا بالإشراف على إعداد المخابئ للمجاهدين في بداية الثورة في شهورها الأولى؛الإشراف على إعداد المخابئ والإشراف على إعداد المستشفى لمداواة الجرحى من المجاهدين. وكان أيضا مكلفا بتموين المجاهدين في جبل بوعريف. ولذلك كان في النهار يظل في تازولت، وفي الليل يتسلل إلى جبل بوعريف ويحضر مع المجاهدين، مع الشهيدين سي أحمد نواورة وسي الطاهر نويشي، وسي محمد الشريف بن عكشة، وغيرهم من قادة الثورة، فكان يلتقيهم ليلا في جبل بوعريف، ونهارا يعود إلى تازولت وكأن شيئا لم يكن.

اكتشاف أمره والتحاقه بالجبل:

ولكن فرنسا من خلال – دائما – عيونها، ومن خلال الطابور الخامس، ما لبثت أن علمت أن الشيخ عمر له علاقة مباشرة بالمجاهدين وبالجهاد. ولتتأكد من ذلك أوحت إلى بعض مريديها، وهو جزائري يعمل ممرضا في الصحة، وطلبت منه أمرا وهو أن يُعَبِّر عن رغبته في الالتحاق بالمجاهدين، الذين سيقبلونه لأنهم أحوج ما يكونون إلى الأطباء وإلى الممرضين، وأوْعَزُوا إليه أن يتصل بأحد المجاهدين ليُسهل له عملية الالتحاق، وحددوا له مهمة واضحة وهي أن يجتهد في أن يؤكد لهم حضور الشيخ عمر دردور اجتماعات المجاهدين في جبل بوعريف.. عبَّر هذا الشخص فعلا عن رغبته في الالتحاق بالجهاد، فكان له ما أراد، والتحق بجبل بوعريف. وصادف أن حضر اجتماعا من اجتماعات القادة المجاهدين في جبل بوعريف، وكانوا في بداية الجهاد أو بداية الثورة لا يتحفظون على من يلتحق بهم، مع أن المنطق العسكري والأمني يقتضي الإبقاء على من يلتحق جديدا معزولا لفترة حتى يُتأكد من إخلاصه، دعوه ليحضر معهم لقاء من لقاءاتهم أو اجتماعا من اجتماعاتهم، وعندما حضر معهم راح يتفرس الوجوه وجها وجها إلى أن وصل إلى الشيخ عمر فعرفه وتأكد منه، وبذلك انتهت مهمته، ولم يبق إلا أن يعود من حيث جاء. ولذلك انتهز أول فرصة سنحت له، ففر تحت جُنْحِ الظلام وعاد إلى باتنة، وهناك أخبر الفرنسيين بحضور الشيخ عمر دردور الاجتماع وكوْنه ينشط مع المجاهدين. وهنا تأكد لفرنسا بما لا يدع مجالا للشك، فأعطت أوامرها لإلقاء القبض على الشيخ عمر دردور وهو في بيته في تازولت.

ولكن الله سلم، كيف ذلك؟

في بداية الثورة، كانت هناك امرأة فرنسية عملت سابقا رئيسة لبلدية تازولت، تدير مخمرة لها وترتزق منها، أرسلت إلى الشيخ عمر طالبة منه وملتمسة منه أن يطلب من المناضلين والمجاهدين عدم التعرض لحانتها بالأذى وعدم تخريبها لأنها لا تملك وسيلة أخرى للعيش. وفعلا أعطى الشيخ توجيهاته للمناضلين في المنطقة أن يتركوها ولا يتعرضوا لها بسوء حتى يحين وقتها.

ولذلك فإن أولئك الجنود الذين ذهبوا من باتنة إلى تازولت للقبض على الشيخ عمر دردور، عندما وصلوا إلى هناك اتفقوا فيما بينهم على أن يمروا بالحانة ليحتسوا فيها الخمر ثم يقومون بالمهمة التي جاؤوا لأجلها، وأثناء وجودهم في المخمرة كانوا يتحدثون فيما بينهم فباحوا بسر مجيئهم إلى تازولت وسمعت صاحبة الحانة كلامهم وعرفت مقصدهم، ولذلك راحت تستبطئهم وتستدرجهم للمكوث أطول وقت ممكن في الحانة، وأرسلت إلى حارس تازولت المدعو "مْعاش" وطلبت منه أن يسارع إلى الشيخ عمر ويخبره بأنه محل بحث للقبض عليه، ولابد أن يخرج من بيته ويهرب حتى لا يُلقى عليه القبض، فأخبر الحارس الشيخ عمر، الذي غادر بيته والتحق بجبل بوعريف.

التحق بالمجاهدين سي أحمد نواورة وسي الطاهر نويشي وغيرهما، وظل معهم في جبل بوعريف لفترة، وكانت له رغبة في أن يحمل السلاح، ولكن الحكماء من القادة نصحوا الشيخ بضرورة الانتقال إلى فرنسا لخدمة الثورة هناك، فطلبوا منه إعداد العدة والسفر إلى العاصمة، وهناك تُعد له وثائق وملف طبي للسفر إلى فرنسا للقيام بشأن من شؤون العمل الجهادي والثوري مع المهاجرين الجزائريين المسلمين في فرنسا.

الشيخ عمر أعد العدة للسفر، ولكن صادف سفرُه موعدَ محاكمة الشهيد مصطفى بن بولعيد في قسنطينة، وكان مسجونا في سجن الكدية بعد إلقاء القبض عليه في تونس، ذهب الشيخ عمر إلى قسنطينة واتجه إلى المحكمة صباحا، ولما هم بالدخول إليها التقاه محامي الشهيد مصطفى بن بولعيد الأستاذ العمراني الذي كان يعرفه من قبل، فسأله: ما الذي أتى بك يا شيخ؟ قال: جئت لأحضر محاكمة سي مصطفى بن بولعيد. فنهره المحامي العمراني، وقال له: أنت تعلم أنك محل بحث السلطات الأمنية الفرنسية، وإذا ظهرْت وطال بقاؤك ومكثك هنا وعُرف أمرك سيُلقى عليك القبض فورا، عليك أن تختفي حالا ولا يمكنك حضور المحاكمة. ولذلك طلب منه الشيخ عمر الاجتهاد في الدفاع عن

سي مصطفى، وودعه واختفى عن الأنظار، ثم سافر في القطار ليلا إلى العاصمة، وهناك ذهب إلى نادي الترقي أين بقي مدة شهر تقريبا ينتظر إعداد الترتيبات والآليات اللازمة لسفره إلى فرنسا، وفي الجزائر اتصل بالدكتور أحمد فرنسيس وابن بوعلي، وأعدّا له ملفًّا طبيًّا للعلاج في فرنسا، وسافر في الباخرة، وبدأ بعمله في جد، وشرع في تأسيس جمعيات المهاجرين بمناطق عدة بفرنسا (مرسيليا بوردو ليون وغيرها).

تكليفه بتسيير أموال الثورة في القاهرة:

الشيخ عمر لم يكن رجلا عاديا، وإنما كان شخصية وطنية لها وزنها، وذلك لأمانته ولحرصه على أداء الأمانة كاملة، كلف – وهو في القاهرة – مع الدكتور أحمد فرانسيس في فترة ما، بصرف منح قادة الثورة، وصرف منح الطلبة الجزائريين الذين كانوا يتابعون دراستهم في القاهرة، في الأزهر وفي غير الأزهر، وكان منهم الدكتور أبو القاسم سعدالله، والدكتور تركي رابح، والدكتور محيي الدين عميمور، وغيرهم.

الشيخ عمر، وهو يقوم بهذه المهمة مع الدكتور فرانسيس، لم يهمل المهمة المنوطة به كما لم يهمل الجانب العلمي، فهو كانت له رغبة ملحة – بعد إنهاء الدراسة عند الشيخ ابن باديس – في الانتقال إلى الزيتونة، على غرار زملائه، إلا أن الشيخ ابن باديس منعه وقال له: مصلحة الجزائر تقتضي أن تبقى في الجزائر، وإذا ذهبت إلى تونس فقد وقد.. تماما كما نصح الشيخ الونيسي تلميذه ابن باديس، فقد نصح ابن باديس تلميذه عمر دردور باديس الأوراس بالنصيحة نفسها، قائلا: عليك أن تبقى هنا. لذلك، الشيخ عمر – وهو في القاهرة – حاول أن يستدرك، وهو يعمل في إطار الوفد الخارجي لجبهة التحرير، فكان يختار أوقاتا محددة لحضور الدروس والمحاضرات التي تقدم في الأزهر، فكانت له لقاءات مع الشيخ محمد أبو زهرة حيث حضر له أكثر من محاضرة، وشيخ الأزهر عبد الحليم محمود، والشيخ أحمد الشرباصي، بل كان يكلف نفسه حضور ندوات الأستاذ مالك بن نبي حيث حضر له أكثر من ندوة في القاهرة، كان يجتهد في التوفيق بين عمله الوطني والجهادي وبين الجانب العلمي ليزداد ويعمق معلوماته ومعارفه أكثر.

إذن، وهو في القاهرة أدى هذه المهمة بكفاءة عالية أيضا وبأمانة.

وهنا أحب أن أذكر حادثة وقعت للشيخ عمر تدل على أن الفساد المالي ليس وليد الاستقلال، وإنما كان منذ قارون وإلى أن تقوم الساعة، النفوس البشرية ضعيفة، البشر ليسوا ملائكة، فهم ضعاف النفوس. وحيث يكون المال تكون المشاكل وتكون الشبهات وتكون الفتنة.

يُروى أن أحدهم، وهو من القادة المعروفين، لا داعي لذكر اسمه، كان في مهمة رسمية، وكل من يكون في مهمة يقدم الأمر بالمهمة للدكتور أحمد فرانسيس أو للشيخ عمر فيصرف له المبلغ المطلوب ويوقع في السجل ثم يذهب إلى أداء مهمته، فجاء هذا الشخص – وهو في مهمة رسمية – إلى مقر مكتب الوفد الخارجي، وقدم للدكتور فرانسيس ورقة المهمة، فصرف له المبلغ المطلوب. وما دام قد وجد في الصباح الدكتور فرانسيس فقد غلب على ظنه أن يجد الشيخ عمر دردور في المساء، وفعلا عاد في الفترة المسائية فوجد الشيخ عمر فقدم له الأمر بالمهمة وطلب منه صرف المبلغ، فصرفه له الشيخ دون مراجعة، وبذلك يكون قد أخذ المبلغ مرتين. لكن الدكتور أحمد فرانسيس الذي كان قد خرج من المكتب، لم يطل غيابه كثيرا وعاد، وقبل دخوله المكتب لقي ذلك الشخص الذي سلمه المبلغ في الصباح فعرف أنه جاء وأخذ المبلغ من جديد، فاستفسر الشيخ عمر: هل سلمت له المبلغ؟ قال: نعم سلمت له المبلغ، فقال: يا شيخ لقد جاءني في الصباح وأعطيته، ولو راجعت السجل لعرفت ذلك. فما كان من الشيخ عمر دردور إلا أن استقل سيارة والتحق به في مطار القاهرة وطلب منه إرجاع المبلغ، وصاح في وجهه: لماذا تتحايل؟ ألا تستحي؟ فافتك منه المبلغ وأعاده إلى الخزينة، حفاظا على الأمانة أمانة الثورة.

هذا الموقف الذي وقفه الشيخ عمر دردور وأمثاله من مواقفه، كان أحد الأسباب التي جعلته يقع في خلاف مع بعض السياسيين في القاهرة.

في حادثة أخرى؛ جاء إلى مكتب الوفد الخارجي شخص آخر كان في مهمة لجمع الأموال للثورة، فأحضر حقيبتين؛ حقيبة كبيرة وحقيبة صغيرة، فقال للشيخ عمر والدكتور فرانسيس: هذه الحقيبة الكبيرة للنظام أي للثورة، وهذه الصغيرة لي. وهنا تبادل الشيخ عمر مع الدكتور فرانسيس النظرات، واتفقا بالإشارة على أن يقبلا منه، لأنه لم يكن أمامهما حل آخر، فقال له الشيخ عمر: لا بأس، سلمنا الحقيبة الكبرى.. محل الشاهد أن ظاهرة الفساد قديمة، ولكنها كانت ضيقة ولم تكن بالشكل الذي عرفناه في السنوات الأخيرة.

إذن، هاتان الحادثتان تدلان على حرص الشيخ عمر دردور رحمه الله على الأمانة، على أداء الأمانة والمحافظة على أموال الأمة، أموال الثورة، أموال المجاهدين، أموال الشعب.

تكليفه برئاسة لجنة تموين الثورة من ليبيا:

بعد ذلك كلفه الرئيس أحمد بن بلة بالانتقال إلى طرابلس، للإشراف على تموين الثورة بالذخيرة والسلاح والأموال، فانتقل الشيخ عمر – تنفيذا لهذا التكليف – إلى طرابلس بليبيا، وهناك انطلق في مهمة الإشراف على اللجنة، واللجنة كانت موجودة في مزرعة خارج طرابلس، وكانوا كلما جمعوا كمية من الذخيرة والسلاح يعدون محضرا لتوزيعها على المناطق: الأولى، الثانية، الثالثة، وهكذا، واللجنة كانت مشتركة أي وطنية ولم تكن لجنة جهوية، فقط يرأسها الشيخ عمر دردور من الأوراس.

لكن بعض زملائه في اللجنة من بعض الولايات، ومنهم البعض من الولاية الثالثة، اتهموه بالانحياز والتعصب لمنطقة الأوراس، قالوا: يا شيخ، كيف كلما جمعنا كمية من الذخيرة والسلاح، خمسون بالمائة منها توجهه إلى الأوراس، وخمسون بالمائة المتبقية توزعها على المناطق الأخرى، وهذا ليس عدلا.

من حيث المنطق النظري، يبدو هذا الكلام مقبولا، ولكن من حيث الواقع ومن حيث الحكمة ومن حيث ما تقتضيه الثورة لم يكن مقبولا، ولذلك قال لهم الشيخ عمر: "يا جماعة، إن جوهر الثورة في الأوراس، وإن تم إطفاء وإخماد نار الجهاد في الأوراس انتهت الثورة في الجزائر كلها، ولذلك علينا أن نحمل الجهاد في الأوراس، أن نأخذ بيد الجهاد في الأوراس حتى تنجح الثورة في المناطق الأخرى".

هذا الكلام وهذا التبرير أقنع البعض ولم يقنع البعض الآخر.. لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، فالذين لم يقتنعوا، وبعضهم من الولاية الثالثة، أعدوا له كمينا لتصفيته جسديا، ولذلك لما سافر إلى طرابلس في مهمة ذهبوا إلى الطريق المعهود المعروف لديهم جميعا، ونصبوا له كمينا في وسط الطريق، وراحوا ينتظرون عودته لتنفيذ قرارهم فيه دون أن يخطروا بقية أفراد اللجنة. لكنه، ببصيرته وبحكمته، تفطن للأمر، لأنه لما رآهم مصرين على رأيهم علم أنهم سيدبرون له مكيدة لا محالة، ولذلك لما سافر أوجس في نفسه

خيفة فعاد من طريق آخر لم يكونوا يتصورون عودته منه. فلما عاد إلى المركز لم يجد فيه أحدا، لأنهم كانوا ينتظرون بشغف عودته من الطريق المعهود، فلما ملوا من الانتظار عادوا إلى المركز فوجدوه أمامهم في انتظارهم، فسألهم: أين كنتم؟ كنتم تعدون لي كمينا، وهل تعتقدون أنني أخاف من الموت؟ لو كنت أخاف من الموت لما التحقت بالثورة ومخاطرها، والثورة تقتضي الموت، أنا لست خائفا منكم ولا من الموت، ولكنني أخاف أن تقتلوني ثم تقولون لقد مات فلان خائنا للثورة، كما فعلتم مع الكثير من الإخوة المجاهدين.

ولذلك قرر التخلي عن هذه اللجنة، ووجه تقريرا للرئيس أحمد بن بلة في الموضوع وقص عليه ما حدث له مع أعضاء اللجنة وما قدمه من تبريرات، فأمره الرئيس بن بلة بالعودة ثانية إلى القاهرة.

نشاطه في القاهرة وفي العالم الإسلامي:

عاد إلى القاهرة، وكانت له بعد ذلك صولات وجولات مع الإمام محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الفضيل الورتلاني، وسافر معهما رفقة آخرين إلى أكثر من بلد إسلامي وعربي، حيث زاروا باكستان وأندونيسيا وسوريا ولبنان والعراق وليبيا والعربية السعودية، وقد منحهم الملك فيصل آنذاك جوائز تكريمية، حيث أهدى لكل عضو من أعضاء الوفد الجزائري ساعة ذهبية، وأبى الشيخ عمر إلا أن يُسَلِّمَ تلك الساعة الذهبية إلى صندوق دعم الثورة.

تأسيسه للمعهد الإسلامي في باتنة:

[بعد الاستقلال السياسي والعسكري للجزائر في 5 جويلية 1962، رأى الشيخ عمر أن ذلك غير كاف لتحقيق الاستقلال الحقيقي الذي هو الاستقلال الحضاري والثقافي والفكري، ولذلك قرر أن يقوم بعمل يندرج في هذا الإطار. ففكر في إنشاء معهد إسلامي يتولى تدريس علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية لأبناء الجزائر المستقلة حتى ينشأوا محصنين بالقيم الإسلامية والانتماء العربي الإسلامي والاعتزاز بتاريخ الجزائر وانتمائها الحضاري العريق].

كان يدرك هذه المعاني، كان رجلا ربانيا، ولذلك فكر في المشروع وأصر عليه رغم مخالفة الكثير من زملائه له وعدم موافقتهم، ومنهم الأستاذ أحمد توفيق المدني زميله في الوفد الخارجي، وهو وزير الأوقاف آنذاك زاره الشيخ عمر في مكتبه في مقر الوزارة وعرض عليه الفكرة فلم يوافقه، وقال: يا شيخ كيف؟ أين الأساتذة؟ أين المؤسسة التي سنعلم فيها؟ وأين؟ وأين؟ فكان

منطقه واقعيا حقيقيا، ولكن الشيخ عمر كان رجلا من طراز آخر، كان رجلا ربانيا، رجلا روحانيا، رجلا له أفق وبعد نظر وله حكمة. فلما لمس منه الأستاذ أحمد توفيق المدني إصراره على تحقيق وتجسيد مشروعه قال له: يا شيخ أعرفك شاوي وإذا قررت شيئا ستعمله، فما المطلوب مني كوزير، رغم أني لا أوافقك، لكن ما هو المطلوب مني كوزير؟ فقال له: المطلوب منك أمران:

الأمر الأول: إذا كان هناك مال فأعطنيه.. فأعطاه ما شاء الله من المال، أعطاه مبلغا كبيرا آنذاك بعد الاستقلال، مبلغ يقدر بـ 500 ألف سنتيم من ميزانية الوزارة، وكان مبلغا معتبرا حينئذ.

والأمر الثاني: عندما أنجز المعهد عليك أن تكلم الرئيس بن بلة ليتصل بعبد الناصر لإرسال البعثة الأزهرية، لإرسال الأساتذة لتأطير التعليم في المعهد.

خرج من الوزارة والتقى بالمجاهديْن سي محمود الواعي وسي محمد الشريف جارالله رحمهما الله، فعرض عليهما الفكرة، وقال لهما: كنت مع الوزير، وكان بيني وبينه كذا، ومع ذلك أنا ماض. فسُرّا بمبادرة الشيخ عمر وشجعاه على المضي فيها.

عندما عاد إلى باتنة اتصل بكل من المجاهد محمد الصالح يحياوي والمجاهد عمار ملاح اللذين كانا يشرفان على القطاع العسكري في ولاية باتنة، استقبلاه في مكتبهما وعرض عليهما الفكرة، قال لهما: أريد منكما أمرين:

الأمر الأول: أنا لديَّ رغبة في إنشاء معهد وبودي أن تكونا بجانبي. قالا له: يا شيخ أحضر لنا الموافقة ونحن معك.

الأمر الثاني: قال لهما: أرجو أن تتنازلوا عن جزء من شاليهات الثكنة العسكرية لفائدة المعهد، بتجهيزاتها، بأسرتها، ببطانياتها، بكل شيء. فوافقا على الفور، وافقا على التنازل على جزء من الثكنة العسكرية، وهي المساحة التي أقيم عليها المعهد الإسلامي، معهد التعليم الأصلي، ثانوية صلاح الدين الأيوبي حاليا.

شرع مباشرة في الإنجاز، واتصل بالمحسنين وبالممونين، وفي ستة أشهر أنجز المعهد، تم إنجاز المشروع وتنفيذه رغم تحفظات الأستاذ أحمد توفيق المدني والشيخ أحمد حماني والكثير. ولكن الشيخ عمر أثبت عكس ذلك

تماما، لكونه ربانيا، لكونه صاحب رسالة ويفقه معنى العمل الحضاري والثقافي والعلمي.

تم إنجاز بناء المعهد وتجهيزه - إذن - في ظرف ستة أشهر (من نوفمبر 1962 إلى ماي 1963)، ولما لم تكن له ميزانية من الدولة، بحث عن الذين سيمونون المعهد، فراح يختار بعض رجال الأعمال، فاتصل برئيس البلدية الذي كان له دور آنذاك، وأول رئيس لبلدية باتنة هو سي سليمان قتالة رحمه الله الرجل الصالح، اتصل به وتعهد له بمساعدته في إطار الممكن، في إطار ما هو متوفر في البلدية من إمكانات ووسائل وتجهيزات، ومنها المواد الغذائية التي كانت تأتي للهلال الأحمر وكانت تتلقاها الجزائر من بعض الدول الصديقة والشقيقة، ليمون طلبة وتلاميذ المعهد.

فالرجل كان ينتقي طاقات المجتمع من مختلف الفئات والانتماءات، اتصل بعد ذلك بأكبر رجل أعمال على مستوى الجزائر آنذاك وهو سي عيسى مقلاتي الذي كان يملك طائرة خاصة، [ودعاه إلى الإسهام في تموين المعهد وتغطية ما يلزمه من نفقات].

وبدأت السنة الدراسية باستقبال 250 تلميذًا، وقُسِّمَ المعهد إلى قسمين (قسم للبنين وقسم للبنات)، ثم أنشأ لهن ملحقة بالمطار. كما تَمَّ ترسيم المعهد سنة 1966 أثناء زيارة الرئيس هواري بومدين وأعضاء حكومته إلى باتنة.

في الختام؛ يمكن القول "إن الشيخ عمر جمع بين الإصلاح والسياسة والجهاد والتربية والتعليم، ولكونه شخصية مميزة فقد استطاع أن يجسد جوانب من شخصية شيخه الجليل عبد الحميد ابن باديس، الذي ظل وفيا له في كل محطات حياته".

وقد كان الشيخ رحمه الله "طيلة حياته من الذين لا يحبون أن يُحمدوا بما فعلوا، ناهيك على أن يكون من الذين يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا".

يقول الشاعر:

بُحْ يا زمان فما بوحك ملهم * * * نهب الجراح أنا وأنت البلسم

ولكم تهيمني القصيد فكنته * * * شفة كما ضم الكتاب المسلم

وأعد كروم الشمس بعد نضوبها * * * فالسكر إلا من يديك محرم

هات الحديث عن الرسالة هاته * * * عن فتية كفر الضجيج فأسلموا

مــرد النفــاق فكــل كهــف معبــد * * * شـقي الشـقي بـه وفـاز المجـرم

ويقول:

يا حامل التوحيد في درب الأنا *** لا تــأس عقبــى الظــالمين دحــورُ

قدر وما قدر السماء بمخلف *** أن سـوف يكتسـحُ الظـلامَ النـورُ

إن الهدى من غير سمحته لم يكن *** والحب إلا من يديها زور أو زير

ما قيمة الأجفان إن لم تكتحل *** بــالنور مــا حــورٌ بهــا وفتــورُ

القلـب دون الـدين كهـف خطيئـة *** أو روضـــة إن كانـــه وغـــديرُ

اللهم ارحم علماءنا وشهداءنا، ونسأل الله السداد والثبات والتوفيق إن شاء الله.

✮✮✮✮✮✮

مداخلة الأستاذ محمد الشريف بغامي على قناة "الثقافية" السعودية في برنامج "من كل فج عميق"

حاوره: **د. محمد الذبياني**

المقدم: يسرنا أن نلتقي مع الأستاذ محمد الشريف من الجزائر، أهلا وسهلا ومرحبا بك.

الأستاذ: شكرا.

المقدم: حياكم الله شيخنا.

الأستاذ: بارك الله فيكم.

المقدم: حقيقة نحن سعداء بوجودك معنا في المدينة المنورة، ونريد أن نعرف أولا من هو محمد الشريف؟

الأستاذ: شكرا، بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة الحسنى للمتقين. ونشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، قال في كتابه الكريم (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [آل عمران: 97]. ونشهد أن محمدا عبده ورسولهوصفيه من خلقه ووليه، خاتم الأنبياء والمرسلين وقائد المجاهدين والمصلحين، أوذي فصبر، وجاهد فانتصر، فصل اللهم عليه وعلى آله وأصحابه، قال فيه شاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه:

وأَحسنُ منكَ لم ترَ قطّ عيني * * * وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ

خلقتَ مبرأ منْ كلّ عيبٍ * * * كأنكَ قدْ خلقتَ كما تشاءُ

أما بعد، مشاهدو القناة السعودية، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في البداية، أشكر القائمين على برنامج "من كل فج عميق" على هذه الاستضافة الكريمة.

ثانيا: أحب أن أؤكد أن حضوري في هذا البرنامج هو حضور بصفتي حاجا من حجاج بيت الله الحرام، فأنا هنا لن أتحدث باسم أي هيئة رسمية أو غير رسمية، إنما أتحدث بصفتي حاجا.

المقدم: نعم، نريد أن نتعرف الآن على شخصية الأستاذ محمد الشريف.

الأستاذ: نعم، الأستاذ محمد الشريف بغامي، من مواليد 17 ماي 1961 في قرية من قرى الأوراس تسمى (تاجرة)، وكانت محضنا للجهاد والمجاهدين إبان الاحتلال الفرنسي، من بلدية إينوغيسن ومن الأوراس، والأوراس إذا ذُكر في الجزائر وفي الوطن العربي بخاصة، تُذكر معه البطولة، يُذكر معه الجهاد، فمن الأوراس انطلقت الثورة التحريرية المباركة لتحرير البلاد والعباد.

حفظت ما تيسر من القرآن على يد والدي رحمه الله، الذي كان معلما للقرآن، وكان مناضلا في الحركة الوطنية، ثم حفظت أجزاء منه على يد بعض الشيوخ، شيوخ القرية وشيوخ القرى المجاورة.

ثم انتسبت إلى التعليم الابتدائي، فالمتوسط والثانوي. وشاء الله أن أشارك في مسابقة الالتحاق بالمعهد التكنولوجي لتكوين المدرسين، نجحت فيها، تكونت، كنت من الأوائل، تم توجيهي إلى معهد آخر وهو معهد خديجة بباتنة لتكوين أساتذة التعليم المتوسط. تخرجت، التحقت أولا بصفتي معلما للغة العربية وللغة الفرنسية أيضا، فعملت معلما مدرسا في الابتدائي، ثم في المتوسط.

ثم شاء الله أن أنجح في الالتحاق بالجامعة، تخرجت من الجامعة، التحقت بالتعليم الثانوي، وكان فضل الله عليَّ كبيرا، إذ أرشدني شيخي عمر دردور رحمه الله وأغراني بالانتقال من وزارة التربية والتعليم إلى وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، فعملت أستاذا بالمعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية في ثمانينيات القرن الماضي بصفتي أستاذا ثم مديرا للدراسات، ثم مديرا لمعهد سيدي عقبة حيث ضوئيح عقبة الفاتح في سيدي عقبة بولاية بسكرة لسنوات، عملت مديرا للمعهد الإسلامي لتكوين الأئمة.

المقدم: أريد الآن أن أتوجه إلى حجاج بيت ال الحرام من الجزائر، قديما عندما كان يقدُمُ حجاج بيت الله من الجزائر، شيء طبيعي أنهم كانت تواجههم بعض الصعوبات ورعض المتاعب، وهناك فرق بين الأمس واليوم، ولكن نريد أن نأخذ فكرة عن الأمس من خلال كتب التاريخ.

الأستاذ: أستسمحكم قبل الإجابة عن هذا السؤال، أن أشير إلى نقطة مهمة جدا، تتعلق بالعلاقات السعودية الجزائرية. أذكر هان في البداية أن شيوخ جمعية العلماء ومؤسسيها انطلقوا من هنا، من المدينة المنورة، رائد النهضة الجزائرية الشيخ عبد الحميد ابن باديس كان هنا في المسجد النبوي الشريف

ودرس على بعض شيوخ المسجد النبوي، وهنا التقى بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وهنا تشاورا وخططا لإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي قاعرت فرنسا عقديا وثقافيا وحضاريا وأسست الرضية والنابتة الصالحة والأرضية الصلبة لجهاد نوفمبر.

المقدم: يا شيخ محمد، الحقيقة أننا نريد أن نأخذ فكرة عن الحج.

الأستاذ: طيب، وهو كذلك، بالنسبة للحج، حقيقة الجزائر كانت وما زالت وستظل دائما مسلمة عربية لن تبيدا، من هنا كان اهتمام الجزائريين بأداء فريضة الحج اهتماما بالغا. ونحن أطفال كنا ننتظر بشغف عودة الحجاج الميامين من أداء المناسك، لأنهم يُحضرون معهم بعض الهدايا المتواضعة، من بخور ومن طيب ومن طاقيات مطرزة آنذاك، لما كان الحجاج يؤدون فريضة الحج إما عن طريق البحر وإما عن طريق البر، فكانوا يقاسون ويعانون من أجل أداء هذه الفريضة. ونحن أطفال، كان الشوق يشدنا شدا إلى مكة، فكلما ذطرت مكة إلا وذرفت عيوننا دموعا وانتظرنا حجاجنا واستقبلناهم، والذين يقضون ربما أكثر من ستة أشهر لأداء مناسك الحج.

المقدم: ربما الحج الآن في الوقت الحاضر تغير، والحجاج من الجزائر الشقيقة سهُلت الأمور الآن بالنسبة لهم، هل حججت قبل الآن؟

الأستاذ: نعم، وُفقت لأداء مناسك الحج منذ خمسة عشر عاما.

المقدم: نقارن.

الأستاذ: نعم، نقارب ونقارن، حقيقة أنا من خلال زيارتي لمعرض المدينة المنورة ومعرض قباء، الذي يصور لنا أهم المحطات التي مرت بها المدينة وكيفية أداء المناسك، ثم من خلال معايشتي وحضوري إلى البقاع المقدسة في أكثر من موسم حج، لاحظت أن هناك تطورا ملحوظا وتغيرا مستمرا، كل موسم ألحظ جهدا محسوسا ملموسا وتطورا ملحوظا في توفير كل ما من شأنه أن يساعد الحاج على أداء المناسك. فحجاجنا قديما كانوا يحضرون إلى البقاع المقدسة عن طريق البر وعن طريق البحر، أما اليوم فيحضرون عن طريق الجو، في طائرات، ويسكنون الفنادق، وهناك وسائل الراحة، في المسجد النبوي خدمات رائعة راقية جدا، في الحرم المكي، في المشاعر المقدسة.

إذن، هناك تطور، ولكن فقط يجب أن يكون هناك تطور في عقولنا وفي نفوسنا وأرواحنا حتى يكون هناك تكامل وتناسق بين التطورين؛ المادي والخدماتي، والتطور الإيماني الروحي.

المقدم: الشيخ محمد الشريف، كما نعلم الحجاج الجزائريون فيهم ناس بسطاء، وفيهم من هم من الطبقة المثقفة المتعلمة، كيف تصف شعورهم وهم يتجهزون للتوجه إلى بلاد الحرمين؟

الأستاذ: نحن، وأنا واحد من الحجاج الجزائريين، كلما توجهنا إلى البقاع المقدسة، إلا واستحضرنا الرسالة، واستحضرنا ما كان يقوم به رسولنا الكريم محمد ﷺ، واستحضرنا الصحابة، واستحضرنا كل ما تحمله الرسالة الإسلامية من معان وأبعاد ودلالات ومقتضيات، ولذلك شعورهم كما يقول الشاعر:

أقبل ربيع الهوى فالسهد * * * والدمع والإبحار من شيمي

أقبل بذكرى رسول الله عاطرة * * * تدعو فؤادي أن يسافر إلى الحرم

ونستحضر ما قاله الشاعر الآخر أيضا، و"إن من الشعر لحكمة" كما قال رسولنا الكريم:

يا مكة النور هات النور هاته * * * فما سواك من البلدان يعطيه

هذه مشاعر حجاج الجزائر، ومشاعر – أعتقد – كل الحجاج الذين يتوجهون كل عام لأداء هذه الفريضة.

المقدم: شيخ محمد، يصل الإنسان إلى المدينة المنورة، ودعني ربما أرسم هؤلاء الحجاج الجزائريين بشخصيتك أنت، عندما تصل وتتمشى بين هذه الجوانب التي مشى فيها رسول الله ﷺ وترى الآن هذا التطور الذي تقوم به حكومة المملكة العربية السعودية لخدمة حجاج بيت الله الحرام، فلاشك هناك تمازج بين الشعور الداخلي والعاطفي عندما تكون في زيارة لهذا المكان، لاسيما وأنت تشاهد الأماكن اليت درج فيها رسول الله ﷺ وصحابتُه.

الأستاذ: الحقيق، مشاعر إيمانية، مشاعر لا يمكن أن توصف عندما تكون في الأرض المباركة التي كان فيها رسول الله ﷺ يشرف على إنشاء

المؤسسة الأولى للمجتمع المسلم، ومن هنا كانت البنود الأولى للدستور الإسلامي، للوثيقة التي أسسها رسولنا الكريم محمد ﷺ، عندما نستحضر هذا كله ونستحضر الصحابة؛ سيدنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الجيل الأول، تنتابنا مشاعر جياشة. وعندما ندخل المسجد النبوي الشريف ونزور الروضة الشريفة حيث قبره ﷺ وقبرا صاحبيه أبي بكر وعمر، نشعر بمشاعر إيمانية أخرى ونرتقي إلى الإيمان ونتأنق ونتألق إيمانيا وروحيا.

فنحن في رحاب الله، في الأرض المباركة نحن في رحاب الله، ونحن في رحاب الله أينما كنا، لكن هنا حيث كان رسولنا ﷺ، وكان صحابته الأطهار وتابعوه الأخيار، هنا نشعر بمشاعر أخرى، فأستحضر قول الشاعر:

الله أكبـــــر فــــــي رحـــــاب الله * * * كم يسمو الشعور وتصغر الأشياء

الله أكبـــــر فــــــي رحابــــــه * * * تزول المراتب والألقاب والأسماء

تكاثرت الأهواء فلي * * * الحمــراء والصـــفراء والزرقـــاء

إلا هـــواك عرفتــــه فضــــممته * * * ورعـــاه منـــي الجفـــن يـــا ســـمحاء

وسمحاء هي الإسلام، هي الشريعة الإسلامية.

هذه هي مشاعرنا ونحن في المدينة المنورة وفي الحرم النبوي.

المقدم: الشيخ محمد، عند وصولكم إلى المنافذ الجوية هنا في المملكة العربية السعودية، كيف كان استقبال الإخوان لكم؟

الأستاذ: والله، الاستقبال كان رائعا وكان جيدا، إجراءات طبيعية تقتضيها المرحلة وتقتضيها الظروف التي تمر بها البلاد الإسلامية اليوم، الإجراءات سابقا كانت ربما أقل، ولكن طبيعة المرحلة التي يمر بها العالم العربي والعالم الإسلامي والعالم كله تقتضي من الحكومة السعودية القيام بمثل هذه الإجراءات حتى نضمن سلامة حجاج بيت ال الحرام. ونحن نلحظ كل القائمين، من الرئاسة العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي ومن الهيئات الأخرى؛ الجهات الأمنية والقائمين من الهيئات الأخرى، كلهم يسهرون على إنجاح موسم الحج وتوفير الظروف الملائمة لحجاج بيت الله الحرام، لأداء مناسكهم في أمن وأمان وسلم وسلام.

المقدم: الحمد لله، الشيخ محمد، عندما يتجمع الحجاج هناك في الجزائر ليأتوا إلى المدينة المنورة، لابد أن هناك صورة مرسومة لهذه التعبيرات التي على الوجوه، خاصة وأن هناك أناسا بسطاء، ولكن نريد أن نعرف كيف هي طريقة أو آلية توجه الحجاج من الجزائر إلى المدينة المنورة؟

الأستاذ: آلية توجه الحجاج الجزائريين إلى البقاع المقدسة، تتم أولا بتسجيل أنفسهم في مقرات بلدياتهم، ثم المشاركة في القرعة التي تجريها السلطات المحلية على مستوى كل دائرة وبلدية، والناجحون في القرعة يعدون وثائقهم ويعدون الزاد ويستعدون لأداء المناسك، ثم بعد ذلك يسافرون جوا إلى المملكة، إما عن طريق منفذ جدة أو عن طريق منفذ المدينة المنورة، والعدد – طبعا – تفرضه الظروف وتفرضه نسبة السكان في الجزائر.

المقدم: جيد، الشيخ محمد، لابد أنك أنت كشخص، كحاج جزائري تقدُمُ إلى بلاد الحرمين، لابد لك أنت من شعور خاص يعتمل في نفسك وانت تنتقل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، فنريد أن نتعرف عليه.

الأستاذ: حقيقة، كما قلت قبل قليل، الشعور أحيانا لا يمكن أن يعبر عنه الإنسان، عندما نكون في رحاب الله وفي ضيافة رسول الله ﷺ، وفي مكة حيث كان المنطلق، حيث كان التدافع بين الحق والباطل، بين التوحيد والشرك، بين الإيمان والكفر، بين أبي جهل والوليد بن المغيرة وبين رسول الله وابي بكر وعمر، نستحضر كل هذا التدافع الذي كان بين هؤلاء وهؤلاء، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء، نستحضر كل ذلك، ثم نستحضر مكانة بيت الله الحرام: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) [آل عمران: 96]، هنا مهبط الوحي، هنا مهبط الرسالات، هنا كان أبونا آدم في عرفات، من هنا مر نبينا إبراهيم عليه السلام، ونبينا إسماعيل عليه السلام، كل هذه المعاني تتبادر إلى ذهني وأنا أنتقل من مكان إلى مكان في المشاعر المقدسة.

المقدم: بارك الله فيكم، هل من كلمة أخيرة توجهها إلى حجاج بيت الله الحرام؟

الأستاذ: ما يمكن أن نوجهه إلى إخواني وأخواتي من حجاج بيت الله الحرام هو ما يلي:

الله عز وجل في القرآن الكريم يقول: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) [البقرة: 197]. إذن، هذه قيم يجب أن يلتزم بها حجاج بيت الله الحرام.

هذا أولا، وثانيا: الحرص على أداء مناسك الحج كما هي منصوص عليها في الفقه الإسلامي وفي الشريعة الإسلامية. فالهدف الذي من أجله يتواجد ويتوافد حجاجنا إلى البقاع المقدسة هو أداء ركن من أركان الإسلام وهو الحج، وهذا الركن له أركانه وله واجباته، على حجاج بيت الله استحضارها وفهمها واستيعابها حتى يكون حجهم – إن شاء الله – مبرورا وذنبهم مغفورا وسعيهم مشكورا وعملهم متقبل، وأن يجتهدوا أيضا في الارتقاء روحيا، فكثير من المسلمين اليوم يهتمون بالدنيا وملذاتها وشهواتها ومغرياتها وماديتها، وينسون هذا الجانب الروحي والإيماني والأخلاقي. فعلينا كمسلمين، وعلى حجاج بيت الله الحرام من كل بقاع الأرض أن يكونوا سفراء لإيمانهم، لدينهم، لعقيدتهم، ولمنظومة أخلاقهم، حتى يرتقوا إلى مستوى الحج. والهدف الأسمى والرتجى والمبتغى هو الوصول إلى مرتبة المتقين. وقبل الوصول إلى هذه المرتبة يجب أن نكون من المجاهدين والمهتدين والمحسنين: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت: 69].

المقدم: شكرا لك الشيخ محمد، سعدنا بهذا اللقاء المبارك معك، بارك لاله فيك، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل حجكم ويتقبل الحجاج الجزائريين ويتقبل كل حجاج بيت الله الحرام في هذا المكان المبارك.

الأستاذ: آمين، آمين.

المقدم: أعزائي المشاهدين، كان لقائي مع الشيخ محمد الشريف، وهو من جمهورية الجزائر الشقيقة، باسمكم أشكر له هذا اللقاء المتميز. ألقاكم في رعاية الله وحفظه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

✯✯✯✯✯✯

الكلمة التأبينية للمجاهد الراحل أحمد قادة رحمه الله

المكان: مقبرة بوزوران ـ باتنة ـ
الزمان: الإثنين 22 أكتوبر 2018
إعداد وإلقاء: **الأستاذ محمد الشريف بغامي**
بتكليف من: **الأمانة الولائية للمجاهدين**

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه...

الحمد لله رب العالمين والعاقبة الحسنى للمتقين، ونشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين قال في كتابه الكريم: **(تبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٍ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ والْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)**، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه ووليه خاتم الأنبياء والمرسلين وقائد المجاهدين والمصلحين، أوذي فصبر وجاهد فانتصر، قال في حديث له ﷺ: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، المكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف"، فصلِّ اللهم عليه وعلى آله وأصحابه وعلى جميع من سار وصار على دربه إلى يوم الدين...

أما بعد:

آبائي المجاهدين، أسرة المغفور له المجاهد أحمد قادة، أيها الإخوة المؤمنون، أيها المشيعون...

ها نحن اليوم واللحظة نودع أبا من آبائنا، ومجاهدا من مجاهدينا الأحرار، ورجلا من رجالات الجزائر المجاهدة الذين كان لهم دورهم وأثرهم الفعال في تحرير البلاد والعباد والدفاع عن الوطن وسيادته...

إننا نشيع الآن المجاهد الرمز والثائر البطل الأصيل أصالة الأوراس والجزائر المجاهد " **عمي أحمد قادة** "عليه الرحمة والرضوان... وماذا عسانا نقول ونحن في هذا المقام أمام هذه القامة من قامات الجهاد في الجزائر؛ لن

نقول إلا ما يرضي الله وإلا ما يرضي خالقنا ورازقنا... القائل في كتابه الكريم: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)** [البقرة]؛ فمن هو المجاهد أحمد قادة ؟ وكيف كانت مسيرته النضالية والجهادية قبل الثورة وأثناءها ؟ وما هو دوره في الليلة الليلاء؛ ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 ؟ وما هي أهم مميزات شخصيته رحمه الله؟

أولا ـ مولده ونسبه:

ولد المجاهد **أحمد قادة** سنة 1927 مِ (1) بدوار زلاطو (عكرش، شناورة) دائرة أريس، وأبوه هو محمد الصالح قادة ووالدته هي يامنة قادة، نشأ وترعرع طفلا في أحضان أسرة جزائرية أصيلة ومحافظة فقيرة الحال تعيش على الرعي والفلاحة. أدخله والده إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم ـ على عادة الجزائريين ـ بشناورة فحفظ سورة البقرة على يد شيخه **مسعود قرزيز** وعمره لم يتجاوز سبع سنوات فأقام له والده مأدبة حضرها سكان القرية (2) ثم أكمل حفظ خمسة وأربعين حزبا على يد الشيخ نفسه وعمره لم يتجاوز أربع عشرة سنة.

ثانيا ـ نضاله ومسيرته الجهادية:

وهو رحمه الله تلميذ في كتاب التعليم القرآني بشناورة تعرف عليه الثائر البطل الشهيد حسين برحايل ـ وهو من أخوال والده ـ أحد الخارجين عن القانون الفرنسي والمتمردين الأوائل على الاستدمار بجبال الأوراس في أربعينيات القرن الماضي؛ إذ نسج معه علاقة نضال كان طابعه الثقة، الاحترام والطاعة؛ فكلفه بكتابة رسائل التهديد والوعيد ـ باسم الثائر حسين برحايل ـ لعيون وعملاء السلطة الفرنسية بالمنطقة. وكان يقوم بمهمته بسرية تامة إلى أن اكتشف أمره فألقي عليه القبض وزج به في السجن لمدة عشرين يوما مما جعل الثائر حسين برحايل ومن معه (الثائر مسعود بن زلماط والمكي عايسي) يهدد ويتوعد أولئك العملاء وتلك العيون والوشاة بالمنطقة مما أدى بالقائد إلى التدخل بطريقته لدى حراس السجن لتسهيل عملية فرار المجاهد الطفل **أحمد قادة** من السجن وفر هاربا إلى قريته شناورة ومنها إلى الجبل وعمره أربع عشرة سنة وطلب منه الثائر حسين برحايل البقاء معه في الجبل رفقة الخارجين على

القانون الفرنسي؛ وكان ذلك كما صرح هو نفسه سنة 1946 مِ وترك قريته شناورة الصغيرة في حجمها ومساحتها والكبيرة برجالاتها ونسائها، المجاهدين والمجاهدات، الشهداء والشهيدات ...

وهنا تبدأ مسيرة المجاهد المتمرد الطفل **أحمد قادة** وينضم بصفة فعلية إلى مجموعة الخارجين عن القانون الفرنسي أو ـ لصوص الشرف ـ كما كانت تسميهم فرنسا في أدبياتها ومنهم: حسين برحايل، مسعود بن زلماط الثاني، الصادق شبشوب وزوجته فاطمة لوصيف المدعوة عيدة، قرين بلقاسم، المكي عايسي، علي درنوني، رمضان حسوني، مسعود مختاري، محمد بن سالم بن عمر، محمد الصالح بن سالم، صالح وصاف، لخضر بورك، المسعود معاش، جودي بيشة المدعو بوسنة، ومحمد بن أحمد مزياني، **وعمي أحمد قادة** الذي نشيعه اللحظة إلى مثواه الأخير.

ظل المجاهد المرحوم **عمي أحمد قادة** وفيا لإخوانه في المجموعة المذكورة التي تحصنت بجبال الأوراس رفضا للأمر الواقع وتلبية لنداء الواجب الوطني... قال الشاعر الراحل "حسين زيدان" رحمه الله:

في الأوراس ثلاثة أشياء تنفع الريـــح والآذان وشـــلـــعــــلـــع

أولئك الرجال الأبطال الذين تمردوا على السلطة الفرنسية وتحصنوا بجبال الأوراس بعد مجازر 08 ماي 1945 مِ أدركوا مبكرا قبل بعض السياسيين في الحركة الوطنية أن فرنسا لا تفهم إلا لغة واحدة، **"هي لغة القوة"** و**"لغة الرصاص"**، لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، كما قال علامة الجزائر ومجاهدها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "إن الحقوق التي أخذت اغتصابا لا تسترجع إلا غلابا" وكما قال شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وكما قال شاعر الجهاد في الجزائر مفدي زكريا ـ رحمه الله ـ:

والغاصبون العابثون إذا هم سمعوا الحديث من الحديد تدبروا

والعزل والمستضعفون إذا هم تركوا القيادة للرصاص تحرروا

كان هؤلاء ومنهم عمي **أحمد قادة** بمثابة الجناح المسلح للحركة الوطنية، بل هم القوة الضاربة لها في جبال الأوراس.

وبدأت علاقتهم بالحركة الوطنية تتوطد من خلال الاتصال بالشهيد الرمز **مصطفى بن بولعيد** ـ عليه رحمة الله ـ دون أن ننسى هنا دور القائد

الشهيد البطل الحافظ لكتاب الله ـ عز وجل ـ **مسعود بن عيسى** بصفته مناضلا قديما في الحركة الوطنية والذي كان يقوم بمهمة التنسيق بين أولئك الرجال والشهيد **بن بولعيد.** وحسب ما صرح به **عمي أحمد قادة** ـ رحمه الله ـ أن علاقة الخارجين عن القانون الفرنسي بأب الثورة التحريرية المباركة إلى بداية 1947؛ إذ بلغ نشاطهم ودورهم إلى مسمع **الشهيد بن بولعيد** والذي كان يدلهم من حين لآخر على بعض الخونة وعيون فرنسا فيتصلون بهم منذرين ومهددين إياهم لعلهم يعودون إلى رشدهم. ولقد توطدت علاقة المجموعة بالشهيد **بن بولعيد** بعدما حاول حاكم أريس **(فابي)** الايقاع بينهم وبين الحركة الوطنية؛ إذ أغراهم من خلال الشهيد حسين برحايل للقضاء على قائد الحركة الوطنية بالمنطقة آنذاك الشهيد **بن بولعيد** مقابل العفو عنهم ـ الإعدام ـ وتمكينهم من مكافأة معتبرة قال الله عز وجل: **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)** [الأنفال: 30]، فاتصلت المجموعة من خلال المجاهد **مصطفى عايسي** شقيق **المكي عايسي** بالقائد **مصطفى بن بولعيد** لترتيب لقاء معه في بيته، وفعلا تم ترتيب اللقاء واستقبلهم الشهيد **بن بولعيد** في بيته وحضر اللقاء حسب تصريح **عمي أحمد قادة** كل من السادة: **حسين برحايل، الصادق شبشوب المدعو قوزير، المكي عايسي وعمي أحمد قادة.** وأخبروه بمؤامرة حاكم أريس وعاهدوه على الولاء للحركة الوطنية والنصرة في ما سيأمرهم به وعلى أن يضلوا ذراعه الأيمن في الأوراس وكان الأمر كذلك. وهنا بدأ التحضير الفعلي والعملي للثورة التحريرية المباركة من خلال:

ـ تكليف الشهيد بن بولعيد لهؤلاء بضرورة جلب السلاح والمحافظة على الذخيرة.

ـ القيام بالتداريب العسكرية بعيدا عن عيون فرنسا.

ـ إعداد مخابئ السلاح (1)

ـ ضمان حماية أمن بعض قادة الحركة الوطنية والمنظمة الخاصة بعد اكتشاف أمرها واعتقال بعض عناصرها والذين دعاهم القائد **بن بولعيد** إلى التحصن بجبال الأوراس ومنهم: لخضر بن طوبال، زيغود يوسف، ديدوش مراد، رابح بيطاط، عبد الحفيظ بوصوف، عبد السلام حباشي، عمار بن عودة ومحمد بوزيدة...

أيها الإخوة المشيعون..

إذا أردنا أن نلخص حياة والدنا المجاهد البطل أحمد قادة فإننا نؤكدها فيما يلي:

1 - تشبعه بالروح الوطنية والإسلامية مبكرا وهو طفل في كتاب التعليم القرآني الذي تحول فيما بعد إلى مركز للحركة وللمجاهدين.

2 - انخراطه في عمل الحركة الوطنية وتفعيل عمل الخارجين عن القانون في المنطقة من خلال كتابته لرسائل التهديد والوعيد باسم الشهيد حسين برحايل وبأمر منه.

3 - انضمامه المبكر - وهو طفل - إلى المجموعة المذكورة والعمل معها وفق توجيهات الحركة الوطنية.

4 - المشاركة في التحضير الاعداد للثورة التحريرية المباركة.

5 - إدانته مع المجموعة وإصدار حكم الإعدام سنة 1950 في حقه وهو لم يتجاوز ثمانية عشر عاما.

6 - تكليفه من القائد الشهيد **بن بولعيد** وتحت إشراف الشهيد **حسين برحايل** بتنظيم إشعال فتيل الثورة في الجهة الجنوبية للأوراس مع إخوانه هناك (ستة وثلاثون مجاهدا) موزعين على خمسة أفواج (1).

7 - حضوره لاجتماع قرية لقرين في الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر قبيل تفجير الثورة التحريرية تحت إشراف الشهيد **بن بولعيد** وبحضور قادة المنطقة بمنزل المناضل **عبد الله بن مسعودة** إذ تم وضع اللمسات الأخيرة لإشعال فتيل الثورة وتم نسخ بيان أول نوفمبر ووزع على بعضهم ثم أقسم الحضور على المصحف الشريف (2) وفاءً للعهد وإعلان الولاء لله ورسوله والوطن وكان - **عمي أحمد قادة** رحمه الله - من الذين أخطرهم الشهيد **بن بولعيد** بموعد تفجير الثورة.

8 - مشاركته الفعالة تحضيرا وتفجيرا مع الفوج المتكون من ستة وثلاثين مجاهدا والذي قاده الشهيد **حسين برحايل** ليلة أول نوفمبر ببسكرة وأشرف المجاهد المرحوم **أحمد قادة** على المجموعة التي هاجمت محطة القطار (3).

9 - مواصلة لجهاده خلال الثورة التحريرية مشاركا في بعض معاركها متنقلا من منطقة إلى أخرى مؤديا واجبه بفعالية وثقة وشجاعة وكان محل ثقة

الشهيد **بن بولعيد** وكانت له اتصالات متكررة بالقادة: **عباس لغرور، بشير شيحاني، عميروش، مصطفى رعايلي**، وغيرهم...

10 - مشاركته في أكثر من معركة منها: عملية شن الهجوم على الأهداف المحددة ليلة أول نوفمبر ببسكرة، المشاركة في تنفيذ عملية حرق حافلة اليهودي **"تورانغ"** في قرية لولاش ببسكرة إذ قاد المرحوم العملية المذكورة، الهجوم على دار الحاكم في بانيان رفقة حسين بولحية وحسين برحايل، وقام المجاهد المرحوم بذبح أحد حراس الحاكم وهو سينغالي، المشاركة الفعالة في معركة **لقطاطشة بأولاد تبان** في جبل **قديل** سنة 1957، كانت لقطاطشة مركز عبور المجاهدين بل كانت أولاد تبان منطقة شبه محررة، مشاركته في معركة **إفري لبلح** مع المشاركة في معارك أخرى وفي أكثر من منطقة. وقد كلفه الشهيد معية وتحت قيادة **مصطفى رعايلي** بالسفر مع وفد عسكري كان ضمنه **محمد لعموري** والشهيد **الصالح عبد الصمد ومصطفى بن صفية ويوسف يعلاوي** إلى المنطقة الثالثة للاتصال بالقائد **كريم بلقاسم** عن طريق الشهيد **سي عميروش** لأمرين اثنين: إنهاء إشكال جماعة بلونيس في منطقة القبائل وتحييدهم، والذين يزعمون أنهم من الأوراس لدعوتهم للانضمام إلى الثورة بالأوراس ثم التبرؤ منهم في حالة الرفض والتأكيد على أنهم لا يمثلون مجاهدي الأوراس إطلاقا، تبليغ رسالة من الشهيد **بن بولعيد** إلى القائد **كريم بلقاسم** بخصوص تحضير مؤتمر وطني.

ثالثا - أهم مميزات شخصيته:

1 - الحس والوعي الوطني منذ نعومة أظافره.

2 - الذكاء والدهاء في التحضير والتفجير موظفا خبرته السابقة ضمن مجموعة الخارجين على القانون الفرنسي.

3 - الشجاعة والجراءة؛ فلا يخاف في الله لومة لائم في قول الحق ونشدان الحقيقة.

4 - الثقة في الله وفي نفسه وفي إخوانه وفي عدالة قضية الجزائر.

5 - الحرص كل الحرص على نفض الغبار عن بعض خفايا وخبايا تاريخ الثورة التحريرية المباركة.

6 - مساهمته الفعالة في إثراء كل الملتقيات التاريخية المنظمة خلال ثمانينيات القرن الماضي في الأوراس.

7 ـ احترامه وتقديره لإخوانه المجاهدين ومنهم العقيد الحاج لخضر ـ رحمه الله ـ الذي كان يمزح معه من حين لآخر وفي مناسبات مختلفة على أنه وإخوانه الخارجين عن القانون الفرنسي التحقوا بالجبل وأعلنوا الثورة على السلطات الفرنسية سنة 1947 قبل 1954.

8 ـ تجسيده لقيمة الوفاء للشهداء ومنهم الذين عمل معهم خلال الثورة.

9 ـ التواضع وممارسة نشاطه بعد الاستقلال بصفة طبيعية جدا فهو يألف ويؤلف ويحب الجميع.

أيها الإخوة المشيعون، أيها الإخوة المؤمنون..

هذا هو المجاهد المرحوم **عمي أحمد قادة** وتلكم باختصار هي مسيرته الجهادية وهو ممن يصدق فيهم قوله ـ عز وجل ـ: **(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ الله عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا)**، وممن يصدق فيهم قول الشاعر الحكيم:

للنور للثورة الخضراء ينتسب يمده بالإباء الرفض والغضب

تضـمه ألف ذكرى ألف أغنية يـحـنو علـيــه النــخل والعــنـب

البرتقالة في شــوق وفي لــهف تســائل القمح جــاء اليوم من يـثب

ما الحب إلا هتاف المجد وطني وما اللحون سوى الرشاش يصطخب

وثار ملء يديه الموت يزرعه مــا عــاد للـيل أن يعـلو له صخـب

يسائل الأهل: يا أحبابنا امتشقوا سيوف عقبة جــل الســيف والطلب

على ترابك يا سمعي ويا بصري دم المجــاهد بالأضــواء يـنسكب

رحم الله الأب المجاهد **عمي أحمد قادة** برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته وجعل قبره روضة من رياض الجنة إن شاء الله وحشره في زمرة النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا... اللهم إنه قد نزل بك وأنت خير منزل بك فأكرم مثواه، اللهم ثبت منطقه عند السؤال، اللهم يمن كتابه ويسر حسابه، اللهم أبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله ونقه من ذنوبه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغفر لحينا وميتنا ولحاضرنا وغائبنا ولصغيرنا وكبيرنا ولذكرنا وأنثانا...

غدا توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا

فإن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساؤوا فبئس ما صنــعوا

اللهم ارحم المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، وارحم شهداءنا الأبرار ومجاهدينا الأخيار، واحفظ بلدنا وسائر بلاد المسلمين يا عزيز يا غفار، اللهم آمين يا رب العالمين...

شكر الله سعيكم وتقبل منكم جميعا وشكرا لإخواننا وآبائنا الذين شاركوا في تشييع جنازة المرحوم والشكر موصول باسم عائلة المرحوم للذين وفدوا من ولايات مختلفة وواسوها في مصابها الجلل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



ملحق الصور



مع الدكتور أبو القاسم سعدالله والأستاذ أحمد بن السائح في الجزائر العاصمة سنة 2009



من اليمين إلى اليسار: أحمد بروال، مسعود فلوسي، أحمد بن السائح، مداني بوستة، شعبان حمودة، الشيخ محمد مخلوفي، ....، محمد الشريف بغامي، عبد الحق ميحي



مع الشيخ جمال الدين ميهوبي والدكتور عز الدين كيحل



مع زميليه الأستاذ ميلود قرفة والأستاذ يحيى مسعودي



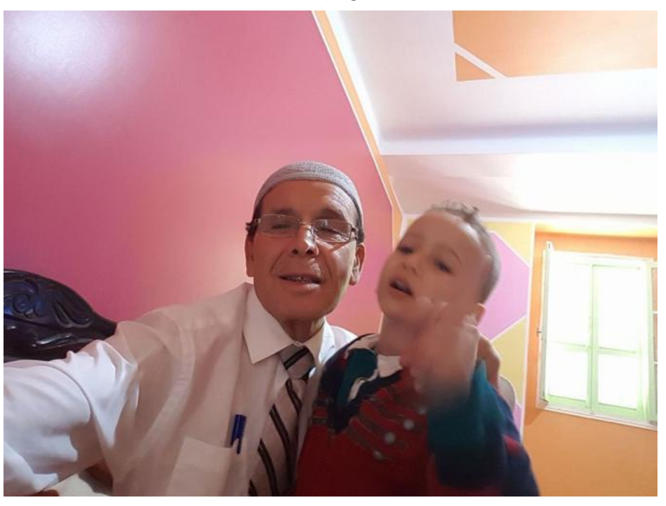
سنة 2000، في بيت الشيخ عمر دردور رحمه الله، من اليمين إلى اليسار: الشيخ عمر دردور، الأستاذ عبد القادر زروقي، الشيخ البخاري، الشيخ علاوي، الأستاذ محمد الشريف بغامي، رحمهم الله جميعا



مع الفريق الرياضي للمعهد



مع المفتي المصلح الشيخ سي محمد علاوي رحمه الله في عيد الفطر
22 جويلية 2018



مع حفيده محمد سراج الدين بغامي، بسكرة في 4 نوفمبر 2017

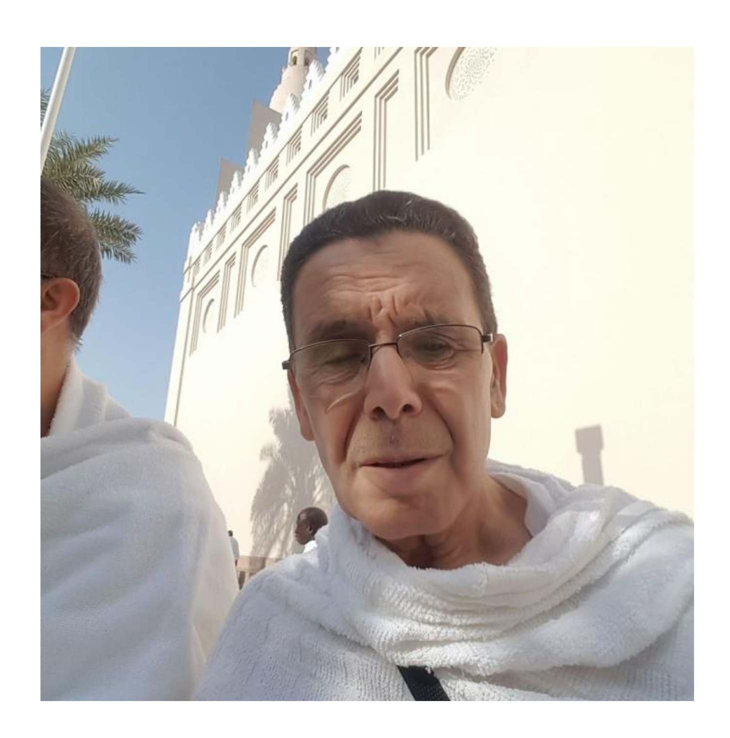


الشيخ محمد الشريف يتابع محاضرة رفقة أساتذة وطلبة المعهد





تكريم بعض المجاهدين والمشاركين في أحد احتفالات المعهد





في موسم الحج سنة 2017


مع بعض زملائه أثناء مرحلة الدراسة الجامعية، سنة 1982


مع الأستاذ سليمان بخليلي أيام الدراسة الجامعية



من اليمين إلى اليسار: عز الدين قلمامي، محمد الشيخ، محمد الشريف بغامي، يحيى مسعودي
30 أكتوبر 2017



مع الإمامين ميلود بن جودي ولقمان مسعودي، عين الخضراء 3 نوفمبر 2017



تكريم المجاهد علي مزوز، 13 ديسمبر 2017



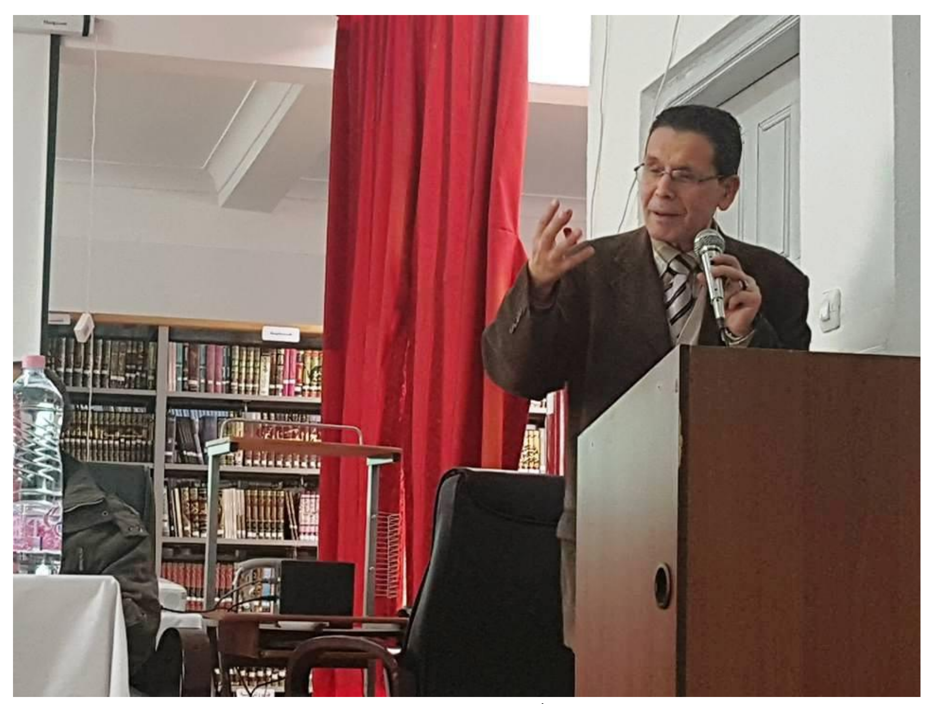
مع حواس جابري ومدير متحف المجاهد بباتنة إبراهيم رحموني، 13 ديسمبر 2017



تكريم المجاهد علي مزوز في مكتبة الإحسان بباتنة



مع الشيخ جمال الدين ميهوبي والإمامين عز الدين حمديني وميلود بن جودي
عين الخضراء، يوم: 3 نوفمبر 2017



الشيخ بغامي في إحدى أنشطة المعهد الثقافية، 3 مارس 2018



في قاعة المحاضرات بكلية العلوم الإسلامية بباتنة بمناسبة نشاط لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية باتنة



أبريل 2018



من اليمين إلى اليسار : الإمام الأستاذ محمد محضي، الدكتور محند اودير مشنان، الأستاذ محمد الشريف بغامي والإمام الأستاذ وليد شريبط، أبريل 2018



في مكتبه بالمعهد يوم 14 ماي 2018



في مسجد المعهد، 2 جوان 2018


مع كل من الأستاذ خليفة عقون والدكتور جمال مسرحي، ماي 2018


مع الأستاذين عمار بن عزة وإبراهيم عاشوري في تكريم طالبة متفوقة بصحبة والدها



مع والي ولاية باتنة الأسبق السيد عبد الخالق صيودة، 14 أوت 2018



مع والي ولاية باتنة الأسبق السيد محمد سلماني



مع الدكتور شهر الدين قالة والدكتور صحراوي مقلاتي، 7 يناير 2019



من اليمين: محمد الشريف بغامي، شهر الدين قالة، ميلود قرفة، صحراوي مقلاتي، حواس جابري، ناصر بروال، يوم: 7 يناير 2019



مع الأستاذ لخضر رحموني والدكتور العربي دحو، 17 فبراير 2018



مع الأستاذ مداني بوستة مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية باتنة



مع الصحفي صالح سعودي

في تأبين المجاهد أحمد قادة رحمه الله



في تأبين المجاهد أحمد قادة رحمه الله المتوفى يوم 21 أكتوبر 2018



أمام المعهد، 24 يناير 2019

فهرس الموضوعات

✯✯✯✯✯✯

القصائد والشهادات في اليوم الدراسي



مقالات وشهادات وردت بعد الإعلان عن الكتاب

✯✯✯✯✯✯

من آثار الأستاذ محمد الشريف بغامي رحمه الله

✯✯✯✯✯✯

✯✯✯✯✯✯



الأستاذ محمد الشريف بغامي محاضرا عن الشيخ محمد الأمير صالحي
في يوم دراسي نظمته مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية باتنة
حول مآثر وأعلام منطقة الأوراس يوم: 13 نوفمبر 2018
من يمين الصورة إلى يسارها:
أ.د. مسعود فلوسي، أ. عبد الحفيظ شملال، أ. محمد الشريف بغامي، د. عبد الباسط دردور